

روايات مصرية للجيب

# أسطورة الموتى الأحياء

هاورا الطيبي

www.lilas.com vb3  
RAYAHEEN^



## مقدمة ..

من هو الذى قضى الليل جوار مومياء الكونت  
( تراكويولا ) ... ؟

من هو الذى صارع مسخ الذئب فوق ثلوج رومانيا تحت  
ضوء القمر ... ؟

من هو الذى لبي نداء النداهة وعاد ... ؟  
الجواب واحد لا يتغير ...

من هو الذى انتزع القرعان من ( وحش لوخ نيس ) ... ؟  
من الذى اقتحم شقة أكل لحوم البشر فى منتصف  
الليل ... ؟

إنكم تعرفون الجواب ...  
إنه أنا ...

الدكتور ( رفعت إسماعيل ) ...

من الذى جرى على تحدى د. ( لوسيفر ) ... ؟  
من الذى مخل قلعة ( فرانكنشتاين ) ؟ ...

إنه أنا ...

العجوز المحفوظ الذى لم يتل منه شيء سوى أثر  
السنين ...

والآن ...



## أسطورة الموتى الأحياء

## ١ - في الأنتيل ..

إنها الواحدة والنصف صباحاً ..  
ومحرك السيارة اللعين بأبى أن ينطلق ..  
مئات المرات يفتش ( هارى ) عن خلل ما .. ، عشرات  
المرات يدعس نواصة البنزين .. ويتحسس أزرار لوحة  
القيادة نون جنوى ..  
لقد ماتت السيارة تماماً ..  
وياله من وقت ... وياله من مكان .. !  
على مسافة أمتار تلتصق شواهد القبور بمنظرها  
الشاعري الكئيب فيما ضوء القمر الفضى البارد ينعكس  
عليها ... ، وثمة ذنب يعوى فى مكان ما يجاوبه ذنب آخر  
فى مكان آخر ... ، وابتلع ( هارى ) ريقه ..  
كان صوته غريباً فى ظلام العربة حين يتكلم ..  
- على كل حال .. نحن فى مأمن هاهنا ..  
- فلننتظر حتى الشروق ..  
- لا مفر من ذلك ..  
ثمة شيء يتحرك فى الظلام .. إنه يقترب منا فى تودة  
وبطم ..  
ليس شبحاً بل هو رجل يرتدى فائلة داخلية ممزقة

من الذى سقط وحيداً فى شرك الموتى الأحياء ، ومع  
الوجوه المرعبة المتأكلة للزومبى ... ؟ !

إنه أنا بالطبع ...

وكيف ؟ ...

أضينوا الأنوار وأغلقوا الأبواب ، واسمعوا

ما سأقول ...

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN

وسروالاً مهترناً .. ويرخى على وجهه قبعة من القش  
تحجب ملامحه عنا ..  
لكنه يقترب .. وهو - حتماً - سيقدّم لنا العون  
والمأوى ..  
وفجأة ..

تصلب جسد (هارى) واتسعت عيناه .. وصرخ :  
- ( رفعت ) ! .. أغلق زجاج النافذة جوارك .. اضغط  
زر تأمين الباب .. !  
ولكن ..  
صاح وهو يغلق النافذة المجاورة له :  
- هل ترى يديه ؟ .. (إنهما متآكلتان بايديتا  
العظام ... إنه ليس مخلوقاً حياً ..  
كان ذلك الشيء يقترب بنفس السرعة الوليدة .. حين  
أردف ( هارى ) :  
- إنه من الزومبي !! ..

★ ★ ★

والآن دعونا من هذا الموقف السخيف وكيف سنخرج  
منه ، وتعالوا معى إلى بقعة قد لا يراها أحدكم فى حياته ..  
تعالوا إلى جزر الكاريب ..  
هلموا إلى الشمس الاستوائية .. ورقصة ( الكالبيسو )  
فى ضوء القمر ..

تعالوا إلى دقات الطبول .. ومزارع الموز .. والوجوه  
السمرء الجميلة الباسعة .. والدماء الحارة ..  
هلموا إلى الأنتيل ..

★ ★ ★

أعرفكم أولاً على هذا الشاب الأشقر الوسيم الذى  
رأيتموه معى فى السيارة .. إنه مهندس كمبيوتر أمريكى  
اسمه ( هارى ) .. هارى شيلدون .. ولا تدعوا كلمة  
( كمبيوتر ) تمر عليكم مر الكرام لأنها - فى ذلك الوقت  
من عام ١٩٦٥ - كانت مجهولة تماماً لنا .. وكانت تفوح  
منها روائح أسطورية مرعبة كأنها كهنوت السحرة .. أما  
اليوم فإن بعض الدول تعرف الشخص الأمى بأنه ذلك  
الشخص الذى لا يجيد لغتى برمجة على الأقل .. ! !  
هذا هو ( هارى شيلدون ) .. والآن تعال أعرفك هذه  
الحصناء المرححة .. ولا ترمقنى هكذا ! .. إنها ليست  
صديقتى .. إنها زوجة ( هارى ) واسمها ( ليندا ) .. وهى  
كما ترى أمريكية جداً جداً ..

أما هذا الشيطان الصغير الذى يركلك بقدمه ويخرج لنا  
لسانه فهو ابلهما ( جيمى ) .. وعمره سنوات أربع ..  
كانت فكرة ( هارى ) هى اصطحابى معهم - من  
فلوريدا - لقضاء بعض الأيام فى ( جامايكا ) وهى رحلة  
أعتقد أنك توافقنى على أنها لن تتكرر فى حياتى أبداً ..

خاصة وأنتى أرافق هذه الأسرة اللطيفة التى تجيد الاستمتاع بالحياة ..

قال لى ( هارى ) وهو يمجّد فكرته :

- ستكون أياّما لاتنسى يا صغبرى .. سترى .. !

ولو تغاضينا عن مناداته لى بـ ( يا صغبرى ) كعادة الأمريكيين - برغم أنه يصغرنى بثمانية أعوام - لوجدنا أنه كان صادقاً فى كل حرف ..

بالفعل ستكون أياّما لاتنسى .. !

★ ★ ★

والآن تعال يا ( هارى ) وحدثنى عن ( جامايكا ) ..  
أنا أعرف أنها إحدى جزر الهند الغربية التى تمتد من ( فلوريدا ) شمالاً إلى فنزويلا جنوباً على شكل قوس طوله ٣٢٠٠ كم ..

لكن لماذا هى ( جزر الهند الغربية ) ؟ .. ما دخل الهند فى الموضوع .. ؟

يضحك ( هارى ) فى سخرية ويغمز ( ليندا ) ، كى تضحك معه .. ولسان حالهما يقول إتهما لم يتوقعا أن تكون بهذه البهامة ..

ثم يقول لى وعيناه دامعتان ..

- أنت تعرف ( كريستوف كولومبس ) بالطبع ؟

- نعم .. فأنا قد دخلت المدرسة الابتدائية على كل

حال ..

- وتعرف أنه حاول إثبات أن الأرض كروية وذلك بالبحار غرباً متوقفاً أنه سيدور حول الأرض ليصل للهند ..

- طبعاً ..

- حسن .. لقد وصل ( كولومبوس ) سنة ١٤٩٢ - بعد رحلة شنيعة - إلى أرض حارة يسكنها قوم ذوو بشرة قاتمة .. من ثم اعتقد - ولالوم عليه - أنه وصل للهند .. لم يعرف المسكين أنه وصل جزيرة ( وانتلج ) فى ( بهاما ) فى المكان الذى أطلق عليه ( سان سلغادور ) .. ثم اكتشف ( هسبانويلا ) بعد ذلك .. ولم يعرف خطأه ؟

- بل عرفه .. وأدرك أنه لم يثبت شيئاً للأسف .. وصار سخرية القوم حتى أنهم أسموه ( أميرال أرض التاموس ) .. ثم مات فقيراً دون أن يعرف أنه وجد عالماً جديداً بدايته هى هذه الجزر .. جزر ( الهند الغربية ) .. - حتى شرف إطلاق اسمه على العالم الجديد ناله رحالة آخر هو ( أمريجو فسبوتشى ) الذى من اسمه جاءت كلمة ( أميركا ) ..

- لكن ( كولومبوس ) ترك اسمه فى دولة كولومبيا ..

- هذا صحيح .. ولكن القارة كلها كانت من حقه .. وأى ظلم !

- وما هي أسماء هذه الجزر ؟

يقول ( هارى ) وهو يداعب شعر ابنه فى رفق :

- اتحاد جزر الهند الغربية يتكون من عشر جزر ..  
إلا أنه فى عام ١٩٦٢ انفصلت عنه ( جامايكا )  
( ترينداد ) و ( توباغو ) .. ونقلت العاصمة الاتحادية  
إلى بربادوس .. (\*)

- وما هي جزر ( الأنتيل ) ؟

- ( الأنتيل ) هو مجموعة من الجزر البركانية .. أكبرها  
هي ( كوبا ) و ( جامايكا ) و ( بورتوريكو ) و ( هسباتيولا ) التى  
تضم ( هاييتى ) و ( الدومينكان ) ..

وكان سكان هذه الجزر قديماً يدعون بالكاريب ؛ لذا  
سميت جزر البحر الكاريبى ..

★ ★ ★

ونعشى فى شوارع ( كينجزتن ) عاصمة ( جامايكا ) ..  
إن ( جامايكا ) جزيرة صغيرة مساحتها ١١٠٠٠ كيلو  
متراً مربعاً وتعدادها ١.٨٦ مليون نسمة لهذا  
لا تتوقع أن تكون عاصمتها كبيرة جداً أو مبهرة ..

( \* ) حدث أن ( بربادوس ) نفسها استقلت عن الاتحاد بعد ذلك  
سنة .. أى فى عام ١٩٦٦

إنها ليست ( نيويورك ) مثلاً ..

لكنها - برغم هذا - تتمتع بسحر خاص غامض ..

الأمطار الاستوائية لا تتوقف طيلة العام .. وبرغم هذا  
فالحرارة شديدة جداً تصل إلى سبعين أو ثمانين  
فهرنهايت ..

مظاهر الفقر والبؤس واضحة .. نفس الملامح التى  
رأيتها فى كل مكان .. الوجوه القبيحة الكالحة التى تراها  
فى جبال الهملايا وفى أحراش ( أوغندا ) وفى سوق قرنتك ..

إن تنوع الوجوه يوجد فقط حيث الثراء والترف .. أما  
الفقر والبؤس فيجعلان الوجود تتشابه فى كل مكان فى  
العالم .. نفس النظرات المعذبة ونفس الأطفال المهزولين  
يتدلون بقذارتهم من ثدى مهترئ لأم حافية كالحة الوجه ..

لقد نجح هذا المناخ الكئيب فى إطفاء جذوة حماسنا  
بعض الشيء ..

إن ( جامايكا ) بالتأكيد ليست بظافة بريدية يرقص فيها  
الرجال والنساء حول أشجار الموز ..

لكن ( هارى ) و ( ليندا ) كانا - فيما يبدو - مصممين  
على الاستمتاع بكل هذا البؤس الذى لم يعتادا رؤيته فى

## ٢ - ضيف غير مرغوب فيه ..

- والآن أعتقد أننا سنشرب بعض الروم .. (\*)  
قالها ( هارى ) وهو يجلس على المائدة و ( لندا ) تعيد  
تعبئة الكاميرا بفيلم جديد .. وكان جو المقهى خانقاً  
رطباً .. وظلام الليل يخيم على المدينة كأنه ثوب أسود ثقيل  
تملؤه تقويب مصابيح الشوارع ..

اعتذرت عن شرب الروم بالطبع وطلبت من الساقى  
بالإنجليزية أن يحضر لى عصير ليمون .. لم يفهم شيئاً  
وقل يرمقنى فى بلاهة مما أثار حفيظتى ..  
قال له ( هارى ) بالفرنسية أن يحضر بعض الروم لهم  
وعصير ليمون لى ..

ثم التفت لى باسماء :  
- ليسوا جميعاً يتحدثون الإنجليزية هنا ..  
يا صغيرى ..

- إذن فالفرنسية هى لغتهم ؟  
- ولا الفرنسية .. إن اللغة هاهنا خليط من اللهجة  
المحلية واللغة الفرنسية .. والأسبانية .. والإنجليزية ،  
(\*) الروم والمسل الأسود هما محصول الصنوبر الوحيد  
لجامايكا.

( فلورينا ) .. وقد رأيا فى كل هذا سحراً خاصاً علينا  
بالإصالة ، الأمر الذى لم يسعدنى على الإطلاق .. والأسوأ  
هو بما أعرفه - بحكم عملى - من أن هذه البلاد موبوءة  
بالتجذام والزهرى والطاعون والملاريا .. و .. و ..  
دعك من مرض ( انشاجاس ) لعنة هذه البلاد والذى  
ليس له علاج معروف وينقله نوع من البق يشع المنظر ..  
- ربنا يمستر !

قلتها لنفسى بالعربية بصوت مسموع وأنا أفكر فى كل  
هذه المصائب التى تنتظرنى بإذن الله هنا والتى قد أتجو  
بمعجزة من ثلاث أو أربع منها لكن الباقي سينالنى  
حتماً .. ! .. سمعتنى ( لندا ) .. فسألتنى :  
- هاذا تقول : ... ؟

- لا شيء .. كنت أردد بعض عبارات الاثيهار بهذا  
الجمال .. ! !  
ونمشى فى شوارع المدينة تحت الأمطار ..

أى أنك يجب أن تجرب كل شيء قبل أن تتلقى نتيجة ما ..  
وتناول الكاميرا من ليندا ليعبئها بنفسه .. وقال :

- لقد شهدت هذه الجزر احتلال الأسبان والفرنسيين  
والهولنديين ..

لهذا اكتسبت شيئاً من كل هؤلاء ..

ثم إن قربها من الولايات المتحدة جعل للإنجليزية  
أرضية لإبأس بها هاهنا ..

- فهمت .. ولحسن الحظ أن فرنسيتي تلى بالغرض ..  
صحيح أنها ركيكة لكنى لا أعتقد أنني سأقابل هاهنا أحد  
أساتذة السوربون .. إن ما أعرفه بشكل ( الحد الأدنى  
للأمان اللغوى ) .. وهذا يكفي ..

ضحك ( هارى ) ونظر إلى ( لندا ) فى حيرة .. ثم سألتى :  
- وما هو هذا ( الحد الأدنى للأمان اللغوى ) ؟  
قلت فى كياسة :

- إنه الحد الأدنى من أية لغة ، الذى يكفل لك ألا تموت  
جوعاً ولا تنام فى العراء ولا تدخل السجن ...

لهذا فإن أول ما أتعلمه من أية لغة هو عبارات مثل :

أين الفندق ؟ .. بكم ؟ .. أريد أن أكل ؟ .. أين المخفر ؟ ..  
أين المطار ؟ .. لا خمر ولا لحم خنزير من فضلك ..

- لقد نسيت أهم عبارة ..

- وما هى ؟ ..

- أين دورة المياه ؟ .. إنها ستوفر عليك متاعب  
كثيرة !

- لم أتسها .. لكنى لم أشأ ذكرها أمام ( لندا ) ..

- وهناك عبارة ( أنا أريد الاتصال بقنصل بلادى ) وهى  
ضرورية إذا لم ترد قضاء بقية حياتك فى أحد أقبية

( ترينداد ) أو سجون ( صقلية ) أو معتقلات  
( داهاوى ) .. ! إن شعوب العالم عديدة وقوانينها كثيرة ..

ومن الصعب ألا تخالف قانوناً ما وأنت لا تتخيل وجوده ..  
- لا أفهم .. إن السطو والاختطاف والقتل جرائم عند

كل الشعوب مهما تباينت .. إن القوانين شىء يستنتجه  
المرء بالسليقة ..

- مثلاً فى ( أوهايو ) يوجد قانون يعاقب من يركل كلباً  
يوم الأحد ... ! (\*)

والآن تصور نفسك تسير فى ( أوهايو ) فى أحد أيام  
الأحد والشوارع شبه خاوية وفجأة .. هوب ! .. يعضك

فك الكلب فماذا تفعل ؟ .. بالطبع تركله .. عندئذ يمسك  
بك رجلاً شرطة من قفاك ويحملتك إلى السجن .. هذا سهل

جداً ... والآن ماذا تفعل لو كنت لاتعرف كيف تقال عبارة  
( أريد القنصل ) بالإنجليزية .. ! ! ؟

لم استطع أن أرى ... إن هذه المعلومة قد أثارته دهشتى  
(\*) حيلة



وقد بدا لى أنتى - ما حييت - لن أعرف كل شيء .. بل  
سأزداد جهلا بذلك المخلوق غريب الأطوار عجيب الطباع :  
الإنسان ... لكنها خبرة أخرى لا بأس بها تُضاف إلى رصيد  
خبرائى .. ولئن جاءت فرصة ما وذهبت إلى ( أوهايو )  
فى يوم أحد ؛ ذكرونى ألا أركل أى (كلب) يعضنى هناك .. !

★ ★ ★

وجاء الساقى بما طلبنا فجلسنا نشرب ونتحدث ..  
كان المقهى يفتقر إلى الرقى ... مستواه أقل إلى حد ما  
من مستوى الكافيتيريا لكنه أعلى - لحسن الحظ - من  
مستوى الحانة .. ! ... وكان رواده من رجال ونساء  
مبعضرين على الموائد الممتاثرة يتحدثون بلغة غريبة على  
مسمعى فى حين كان هناك صندوق موسيقا عتيق يبعث  
نعمات كذبية تدعو للنعاس ..

وكان هناك عملاق أسمر ملتج يرتدى قميصا زاهى  
الألوان مشجرا .. لا أنرى كيف واثقه الشجاعة على  
ارتدائه - يقف على منصة الساقى يمازحه ويحسو شينا  
ما فى ( شوب ) كبير ..

وكانت هناك ثلاث حسناوات سمراوات يقفن جواره  
يثرثرن وهن يشربن عصير الماتجو ... والساقى النحيل

الشاحب يجرى هنا وهناك كذبابة فى مصنع لتكرير  
السكر .. ! والساعة تقترب من الحادية عشرة مساء ..  
لقد حان وقت الانصراف .. والفراش الوثير ..  
والنوم ..

وفجأة .. ساد الصمت المكان ..

ثم بعد أحد يثرثر وإن ظل الصندوق يرسل نعماته  
الكنيية ..

العيون تتجمد فى محاجرها ..

الساقى تصلب فى مكانه فأغرا فاه فى زهول ..  
الثلاث الحسناوات تراجعن ثلوراء وهن يرتجفن ..  
وثمة كأس سقط من كف إحداهن فتهشم على الأرض ..  
حتى العملاق الأسمر - الذى يمكنه أن يخيف الشيطان  
ذاته - تراجع وهو يرتجف وعبناه لاتفارقان ذلك الشيء  
الذى لدخل ..

فى الواقع لم يعد شيء يتحرك فى المكان حتى لدخان  
التبغ بدا وكأنه قد تجفد رعبا فى الهواء ..  
وبشكل غريزى نظرنا نحو المنخل لترى ما هنالك ..  
كان ذلك الشيء رجلا نحيلاً ضئيل البنية يسير ببطء بين  
الموائد ..

رأسه مضعدة بمنديل قذر .. ويرتدى قميصاً حال لونه  
وسروالاً واسعاً ممزقاً في أكثر من موضع ... وكان أضعف  
من أن يثير كل هذا الرعب في نفس طفل صغير ..  
وحين مر يماندتنا بدأت أفهم ..

كانت رائحة عطنة تثير الغثيان تنبعث منه ..  
أما الذي أثار ذهولنا أكثر من أي شيء فهو يداه ..  
كانت يداه بلا أصابع تقريباً وما بقي منها كان مجرد  
عظام عارية بيضاء ..

وحتى قدماه الحافيتان كانتا واضحتين تماماً .. يمكنك  
أن ترى الأوتار والعظام وكل شيء فيها ..  
ورفع رأسه فرأيت وجهه .. اللون الرمادي الغريب ..  
الأنف المجذوع والأسنان النخرة المتساقطة ..  
وفي تجويف عينه اليسرى لم تكن هناك عين على  
الإطلاق .. مجرد حفرة سوداء بشعة المنظر .. والتجاعيد  
تملاً لجمه ..

وبدأت أفطن لسرّ دعر كل هؤلاء ..  
إن هذا الذي أراه ليس له سوى تفسير واحد ..  
إن هذا الرجل هو جثة حية ..

★ ★ ★

وتقدم ذلك الشيء نحو ( البار ) بينما الجميع يفسحون  
له الطريق دون أن يجروا على إدارة ظهرهم له .. كلهم

يرجعون للخلف وعيونهم لا تفارقه ..

وخلف ( البار ) وقف الساقى يرتجف .. حين تقدم إليه  
ذلك الكائن ووقف أمامه مباشرة .. كأنه ينتظر شيئاً متفقاً  
عليه ..

وفي حركات هستيرية شرع الساقى يصبّ الروم من  
زجاجة في كوب كبير .. وقد مكب خارج الكوب أضعاف  
ماسكه بداخله .. ولا ألومه كثيراً في الواقع حين أضع  
نفسى مكاته ، وذلك الشيء على بعد أمتار منه يتأمله بعينه  
الصفراء الوحيدة باهتمام .. !

ومد الشيء يده العظمية إلى الكوب وشرع يحسوه في  
نهم ..

ثم أنقاه على المنضدة طالباً المزيد وهو مالم يكن  
الساقى في حاجة لهما .. فقد شرع بعيد ملء الكوب حتى  
قبل أن يوضع أمامه ..

نظرت بطرف عيني إلى ( هارى ) فوجدته يدير قرص  
حاجب الكاميرا وعيناه لا تطرفان عن المشهد .. اختار  
أوسع فتحة للحاجب مع السرعة ( بي ) التي تتيح له فترة  
تعريض يحددها هو .. أي أنه كان يستعد لالتقاط الصورة  
في هذه الإضاءة الضعيفة بدون فلاش ..

- مامى .. ! .. أنا خائف .. !

صرخ ( جيمى ) وهو يدفن رأسه دماغ العينين في صدر

( ليندا ) التي تحسست شعره في حنان وثقة بينما عيناها  
لاتفارقان ذلك الشيء .. إنها لخبرة مروعة تطفل في هذه  
السن ..

( هارى ) يرفع الكاميرا ببطء وحذر إلى عينه ويثبت  
مرفقه على المنضدة حتى لا تهتز يده ( وهو شيء حتمي  
مع هذه السرعات البطيئة ) ... ويحبس نفسه ..  
الساقى النحيل يهمس له بالفرنسية ( وكان واقفا  
بجوارنا ) :

- سيدى ! .. بريك لا تفعل ! .. !

همس ( هارى ) وهو يحكم التصويب :

- ولماذا ؟ إنه لن يرى الفلاش ..

- سيعرف .. إن ( دالماس ) يعرف كل شيء ..

إن اسمه ( دالماس ) .. وهم يعرفونه وقد اعتادوه ..

وهذا الـ ( دالماس ) يلعب دور بلطجى الحانات الشهير ..

كلاهما يفرض سلطته عن طريق الخوف .. الخوف من

قوته الجسدية وبطشه في حالة البلطجى .. والخوف من

بشاعة تكوينه في حالة ( دالماس ) هذا ..

على كل حال لقد نجح في إرعابنا ..

إن الهلع الذي يغمر القاعة لهو مثال آخر على ظاهرة

الإشعاع ( السايكو فيزيائى ) التي يتحدث عنها علماء

النفس ..



ولى حركات هستيرية شرع الساقى يصب الروم من زجاجة في كوب كبير ..

هذه الظاهرة تفسر تلك العدوى النفسية التي تحدث في حالات الحماسة والخوف والضحك والكآبة... فحقيق يصرخ جندي واحد : إلى الجهاد... ! تدب الحماسة في الكتيبة بأكملها.. وحين يضحك اثنان أمامك تجد نفسك تضحك معهما دون أن تعرف علام يضحكان ... وحين يتناوب الرعب الموجودين في هذه القاعة يصيبنا نحن أيضا الرعب حتى قبل أن نعرف سبب رعبهم.. و..  
كلبك !..

لقد ضغطت ( هاري ) زناد الكاميرا بعد أن أحكم التصويب.. وظل مثبتا وضعه حابسا أنفاسه لمدة ثانية كاملة قبل أن يرفع إصبعه من على الزناد ... إنه ينيير رافعة الكاميرا من أجل لقطة أخرى ... كفاك هذا يا ( هاري ) .. لاشك أنه يريد الاطمئنان بأخذ عدة لقطات لأن الصور المأخوذة بالسرعة ( بي ) تفضل في أغلب الأحيان ..  
كلبك .. ! .. ثم ... كليك ... !

ارتشف المخلوق ثمالة الكوب ثم وضعه في حركة عنيفة على المائدة ، ولمحت يده العظمية تنساب في جيب القميص العلوي مفتشة عن شيء ما .. ثم خرجت مفرودة وعليها .. قطعة عملة مذ بها كفه إلى الساقى ..

ثم أر من قبل مسخا بهذه النزاهة .. !  
مسخ يصمم في كبرياء على دفع ثمن مشربه من

روم ..

إلا أن الساقى تراجع للخلف في حياء متقزز ..  
وأريحية مرعوبة ..

إتة لا يريد من هذا الشيطان شيئا سوى أن يتركه وشأنه ..

أتقى (دالماس) قطعة العملة على المنضدة فدارت بضغ تورات حول حافتها قبل أن تسقط محدثة دويًا بدا لنا مرعبًا ..

ثم إتة استدار .. وببطء شديد أخذ بترتج بين الموائد .. أخذ الذين احتشدوا في طريقه يفسحون له مرة أخرى وهم لا يجرءون على الإبتيان بأية حركة مفاجئة ..  
كان يسير في تودة نحو مانتنتا ..  
- مامى .. ! .. إنه سياكلنا .. !

قالها ( جيمى ) الصغير وهو ينتحب ويحاول أن يختفى عن الوجود نهائيا في طيات ثياب أمه .. فازداد احتضانها له حزما وبسالة ..

وكانت بدا ( هاري ) ماتر الان قابضتين على الكاميرا حين وقف أمامنا ذلك الشيء وقد بدا في أشبع صورة حين دنا منا ..

كانت عينه الوحيدة متصلبة على الكاميرا .. وفي بطء ارتفع إصبعه السبابة العظمى نحو ( هاري ) وارتجفت ذراعه وهو يهمس في صوت ككفح الأفعى وبتنجليزية مهشمة :

- ها ... ها ... هاتها !!

★ ★ ★

ساد الصمت المكان وتحفّر الجميع لما سيحدث ...  
نهض ( هارى ) وقد كوز قبضة يده وتصلبت عظام  
فكيه ، وهتف فى غضب حقيقى :  
- اسمع أيها المهرج .. ! .. لا أعرف من أية مباءة  
أتيت .. لكنى لا أخافك .. وعلى كل حال لن أعطيك هذه  
الكاميرا .. !

تصلب جسد المسخ ووقف لحظة ساكنا كأنه بزن  
الخطوة التالية ... ورأيت أننى يجب أن أفعل شيئا ما يثبت  
أننى هناك .. فوقفت. أنا الآخر جوار ( هارى ) متصلبا  
نافشا عضلات صدرى متظاهرا بأن كل ما أشعر به هو  
الغضب وليس الخوف .. !

لحظات مرّت تصادمت فيها الإرادات وبدا أن هذا  
الموقف سيستمر للأبد .. وحتى يموت واحد منا إذا كان  
هذا الشيء قابلا للموت ..

ثم .. نظر لى نظرة لن أتساها أبدا بعينه الصفراء .. ،  
أتبعها بنظرة طويلة إلى ( لندا ) الجالسة فى تحفّر ..  
أشع نظرة رأيتها فى حياتى ..  
ثم إنه استدار واتجه ببطمه للباب .. واختفى فى  
الظلام ..

قتلنا ساكنين فترة ..

ثم ارتفعت التتهيدات وأنفاس الخلاص ، وسمعت الساقى  
يهشم الكوب الزجاجى الذى لوثه ذلك الشيء فى  
استمزاز .. وارتفعت أصوات الإعجاب والتهنئة لى  
ولد ( هارى ) على ثباتنا أمام هذا المخلوق المنفّر ..  
واقترب منه الساقى النحيل يحيط كتفه بإعزاز وهو  
يقول بالفرنسية :

- أنت شجاع ياسيدى .. ولكن أتصحك أن تحترس من  
( دالماس ) .. فهو زومبى .. والزومبى لايفترون  
ولايسون .. عليك أن تغادر الجزيرة سريعا أو على الأقل  
تعيد أسرتك إلى الولايات المتحدة ..

وارتجف فى تقزّر مردفا :  
- لقد نظر نظرة وعيد مرعبة إلى زوجتك ... ألم تلاحظ  
هذا .. ؟

إنها رسالة لاحتجاج لترجمة .. !

★ ★ ★

من الغريب أنه سمع صوت غالى الكاميرا وأدرك أننا  
قد صورناه ..

كان منظره يوحي بأنه لايعى أى شيء ..  
قالها ( هارى ) وهو يصعد درجات سلم الفندق - فندق  
سان رامون - وهو يضع يده على كتف ( لندا ) ويمسك  
بيد ( جيمى ) شبه النائم ..

قلت وأنا ألهمت لاحقاً بهم :

- على العموم لقد أثبت أنه مسخ متحضر ... يفهم  
فنون التصوير ويدفع ثمن مشروباته ..

- هذا هو الرقى ..

وعند غرفته ذات السريرين أولج المفتاح في الباب  
وتمنى لى ليلة سعيدة ..

فقلت له مداعباً :

- على كل حال احترس .. إن الصور مازالت معك ،  
وكما هي القصة دائماً ستجد عصابة مرعبة تطاردك لأن  
الفيلم يبين شيئاً ما لا تريد العصابة أن يراه أحد ، أو - إذا  
كانت القصة مفزعة - سيدخل هذا المسخ غرفتك من  
الشباك هذه الليلة بغية قتلك وتدمير الفيلم .. !

- يا لك من داهية .. !

قالتها وهو يلكنى في كتفى حتى كاد يخلعه .. ودفق  
إلى الحجرة مع أسرته ..

والآن أذهب إلى غرفتي ..

ليست فاخترة جداً - غرفتي - لكنها مريحة .. وبها  
جهاز تكييف يعمل بكفاءة لا بأس بها .. والفرش وثير إلى  
حد ما .. وخال من الحشرات لحسن الحظ ..

والآن أرقد في الفراش مستشعراً تلك المتعة المخدرة

التي يشعر بها المرء حين ينزع حذاءه بعد يوم مضن  
ويصق قصبه الساخنين في الأغطية الباردة .. و ..

الباب يندق في حذر ..

تهضت متناقلاً إلى الباب وعندى يقين شبه تام أنني  
سأجد الأخ ( دالماس ) وألفاً يرمقني بتلك الفجوة السوداء  
المرعبة ... بحذر أزحت الرتاج وفتحت الباب فوجدت ..  
شيئاً ناعلاً رقيق الملامح يقف في توتر مهذب كمن ينتظر  
الزمن بالتخول ..

نظرت إليه في تساؤل .. فقال بفرنسية رديئة النطق  
لكنها سليمة :

- سيدى .. أنا ( جابرييل ) خادم الغرف هنا .. هل  
تسمح لى ؟ !

- حسن .. أنا لم أطلبك يا بنى ..

وكنت أغلق الباب لكنه عاد يتوسل ..

- رجاء سيدى .. إنه لأمر هام وملح ..

تفكرت في الأمر ثم وجدت أنه لا ضرر هناك من سماع  
كلمات هذا الفتى بعد إدخاله طبعاً ... وهكذا سمحت له  
بالتخول .. وأشرت له إلى مقعد كى يجلس ... قال وهو  
يتشهد في ارتياح :

- شكراً .. شكراً ..

- والآن قل ما عندك ..

- لقد قمتما بتصوير الزومبي ( دالماس ) هذه الليلة ..  
لاتسألني كيف عرفت لأن لي مصادر خاصة ، والآن  
دعني أحذرك .. يجب أن تغادروا ( جامايكا ) خلال ساعات  
إلى أي بلد آخر ..

تتأعبت وأشعلت سيجارة .. وسألته :

- هل هذا إنذار ؟ .. أعني هل السيد يهددني ؟

قال على الفور :

- لا .. لا .. هو مجرد تحذير لأن ماسيحدث غدا - لو

لم تنفذوا نصيحتي - سيكون بشعا إلى حد لا يصدق ...

وأنا أكره أن يقال إنني تركت هذه المأساة تحدث برغم

علمي أنها غير ضرورية ..

تفتت دخان السجارة وقد نجحت لهجته بالفعل في

إثارة توترى ..

إن أول أمسية لنا في هذه الجزيرة لاتبود سارة أبدا ..

سألته :

- هناك أشياء عديدة لا أفهمها .. مثلا من هو

( دالماس ) هذا ؟ ..

وما معنى كلمة ( زومبي ) التي تحدثونني عنها كأنها

من مفردات قاموسى أنا .. ؟ .. وما هي المشكلة في

صورة فوتوغرافية بريمه ؟ ..

تفكر برهة .. ثم سألتني في حذر ..

- هل تثق بي يا سيدى ؟

- نعم أتق بك كما أتق بأى شخص قابلته لأول مرة من

ربع ساعة .. !

- رائع .. ! .. ارتد ثيابك وتعال معي لتقابل شخصا

يشرح لك كل شيء ..

لم يفهم القبى دعابتي ... لم يفهم سوى أنني أتق به

فعلًا ..

لكن ثمة إغراء شديد بأن أستمر مع هذا الفتى

للتنهاية .. ، فالموقف مشير .. والفضول يقتلني ، ثم إنه

أضعف من أن يؤذيني على الأقل بيده المجردة ... أضف

لهذا أن الإرهاق قد برح بي إلى تلك الحد الذي تتعكس معه

الاية ويظير النوم من عينيك ..

لن أوقف ( هارى ) لأن الأمر كله قد لا يكون سوى

دعابة سخيفة ..

- وإلى أين سنذهب ؟

- إلى الزقاق الكائن خلف الفندق .. إنها شقتى ..

- حسن .. ولكن دعني دقائق ريثما أبدل ثيابى ..

وما إن خرج حتى شرعت أرئدى ثيابى ، ولم أنس

بالطبع أن أنس مسنسى في جيب البنطلون ، ذلك المسدس

الذى لم يعرفوا في الجمرتك بوجوده معى خاصة وأن جهاز

الكشف عن السلاح لم يكن قد عُرف بعد في تلك الأيام  
السعيدة قبل أن يخترعوا موضة خطف الطائرات ..  
وعلى ورقة صغيرة كتبت التالي بخط واضح :  
( هارى ) ...

لقد خرجت مع ( جابريل ) خادم الفندق (إلى داره في  
الزقاق الخلفى للفندق .. ، أرجو أن تتقننى .. !  
وأطفأت نور الحجرة وتبعت ( جابريل ) بعد أن أغلقت  
بابى ... وعند عتبة غرفة ( هارى ) انحيت - أمام عيني  
( جابريل ) المندهشتين - ودفعت بالورقة التي كتبتها من  
تحت الباب ..

للحظة بدت الحيرة على وجه الفتى .. ثم أضىء وجهه  
بالفهم .. وقال :  
- اها .. ! .. أنت تخبر صديقك بمكانك كنوع من  
الاحتياط ..

- لم أعرف أنك عبرى فاعذرني .. !  
ابتسم في عنوية وقال :

هي فكرة جيدة ولكن في حالة واحدة .. أن يكون اسمي  
حقاً هو ( جابريل ) وأن يكون بيتي حقاً خلف الفندق .. !  
أنت لا تعرف عنى سوى ماقلته أنا لك ..  
- في هذه الحالة توجد حلول أخرى ..

- كالمسح الذي في جيبك .. ! ؟ ..

وأشار إلى الاتبعاج الذي أحضته المسدس في جيب  
يتقننى ، واستطرد :

- لا ألومك على هذه الاحتياطات لكن المسألة لا تحتمل  
مثل هذا التعقيد .. إن هي إلا دقائق وتعود بعدها .. ثق  
بى ..

ومضينا في الطرقات المظلمة على صوت نباح الكلاب  
تضالة من بعيد ... كيف لو عرف أن مسدسى لا يحوى  
سوى طلقتين : لأنى لم أشتد ذخيرة له منذ شرائه ؟ ؟ !  
\* \* \*

كانت راحة شقته خانقة وأثاثها قبيح بالفعل ..  
وفي غرفة الجلوس قدمنى إلى عجوز زنجية شمطاء  
تساقط أسناتها جميعاً والتجاعيد تملأ وجهها ... وكانت  
تظفر يديها طويلتين كالمخالب وراحة زيتية منفرة تقفح  
منها ... ومن أذنيها تدلى قرطان كبيران ..  
- أمى ( مارشا ) .. أرجو أن تقدم نفسك لأمى لا أعرف  
اسمك ..

- ( رفعت ) .. رفعت إسماعيل .. طيبب ..  
صافحتنى العجوز بمخالبها ودعتنى للجلوس .. ثم إنها  
أشعت سيجاراً غليظاً خبيث الرائحة وجذبت منه نفسين في  
حنكة واحتراف .. وجرعت جرعة كبيرة من زجاجة  
بجوارها ... في حين قال الفتى في فخر :



- إن أمي خبيرة في طقوس ( الفودو ) ..  
- فو .. ماذا ؟

- (الفودو) .. إنه السحر الأسود الذي يمارس في جزر  
(الأنطيل).. وأمى ساحرة بارعة.. إتهم يشهدون لها بذلك ..  
- مس .. ساحرة .. بـ .. بارعة .. ؟

كانت العجوز ترمقني - كالثقور - بعينها الرماديتين  
وقد سرتها إطرءات ابنها ونظرات الرعب في عيني التي  
لم تخف عليها بالطبع ..

ماذا يحدث لي ؟ أي شيطان يطاردني كي أضع نفسي في  
كل هذه العازق ؟ .. مرة أنتصارع مع مذعوب .. ومرة  
أصطاد وحشا أسطوريا .. ومرة أتسلل إلى شقة آكل لحوم  
بشر وحدي ليلًا ... والآن أنا في شقة ما في ( جامايكا )  
بعد منتصف الليل مع ساحرة خبيرة في فنون السحر  
الأسود ؟ ! ..

بعد دقائق قالت العجوز في صوت كغطاء تابوت ينغلق  
وبالفرنسية :

- أنت أيها الشاب الأبيض تحدثت الزومبي ..  
أبيض ؟ .. إن نوني الخمرى بسبب مشاكل عديدة لي ..  
فأنا أبدو أجتبيًا أينما حللت ! ! ... في (نيجيريا) كانوا  
يقولون لي أيها الأبيض المستقل ! .. وفي (إنجلترا) كانوا  
يقولون لي : أيها الزنجي المتخلف ! ... وحتى عند

(نوح نيس) قال لي (أنفريد) قبل أن يموت : أيها الكلب  
الإنجليزي ! ..

قلت لها بفرنسية كسيحة :

- ولكن - معذرة - ياسيدة (مارشا) ..

- اسمي هو الأم (مارشا) ..

- حسن أيتها الأم (مارشا) ... لا أفهم من هم

(الزومبي) بالضببط ..

نظرت إلى ضوء المصباح الذابل مفكرة .. ثم قالت :

- (الزومبي) هو اسمهم في (جامايكا) .. في

(توياجو) و (بربادوس) يسمونهم الموتى الأحياء ..

أعتقد أن الاسم الأخير مفهوم لك ؟

- نعم .. تقريبًا ..

قالت وهي تتأملني في تركيز :

- في كل مرة يمارس الساحرة طقوسهم خلف النهر

يموت واحد .. وبعد ثلاثة أيام يغادر قبره في الظلام ..

عندئذ يسمونه (الزومبي) ..

وهم جميعًا يعرفونه ويذكرون ملامحه لكنهم

لا يجرعون على الكلام معه لأن (الزومبي) لا يجب أن

يلمسه أو يكلمه أو يضايقه أحد وإلا فالويل له ..

إن (الزومبي) ملعون للأبد..

إته لا يعرف الراحة الأبدية .. بل يجوب الأرض ..  
تخشاه زوجته ويخافه أصدقاؤه القدامى .. يتعفن وهو  
حتى .. لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ..

- لكن ( دالماس ) هذا كان يشرب كالإسفنجة ..  
- بالطبع نظل هناك عادات راسخة في نفسه منذ كان  
حيًا يرزق ..

لقد كان ( دالماس ) سكيرًا في حياته ... لهذا يكرر نفس  
ما كان يفعله ..

- وهل هو ( الزومبي ) الوحيد ؟  
- كلا .. هناك ثلاثة في ( كينجزتن ) .. وعشرات في  
القرى التي حولنا ..

ثم إنها ابتسمت ابتسامة قاسية .. وهمست :  
- أنت لاتصدق .. إنني أرى ذلك في عينيك !  
ابتلعت ريقى مفكرًا فيما عساي أقول .. ثم قررت أن  
أتكلم بصراحة :

- اسمعيني أيتها الأم .. أعلم أن ماسأفوله سيثير حنقك  
لكنني سأقوله على كل حال ... إن الأديان السماوية تؤكد  
وجود السحر الأسود لكنها تنكر قدرته على حرمان أي  
مخلوق من حقه الطبيعي في الموت ... إن الخلود صفة  
الله سبحانه وتعالى ، أما نحن فلا خلود لنا على هذه  
الأرض .. وهو الذي يهبنا - وحده - الخلود في العالم  
الأخر ..

تصنبت الساحرة فأدركت أن ليلتي لن تمر علي خير ..  
ولتي حتمًا سأتتهى إلى برغوث أو خنزير أو أي شيء  
مشبه .. الأمر الذي لا يروق لي ..

بعد لحظات مدت ذراعها الضامر إلي كيس من الخيش  
على التائدة بجوارها .. ومنه أخرجت حزمة من  
الأوراق ..

أوراق لعب قديمة مهترلة تتم عن إقراط حقيقي في  
استعمالها ..

إني أعرف هذه الأوراق ..  
أعرف رسومها الغامضة .. وشكلها الكليب المشنوم ..  
إنها أوراق ( التاروت ) التي لا يستغنى عنها السحرة ..  
( بعد سنوات كانت لي قصة مريرة مع هذه الأوراق  
ومع د. (توسيفر) .. وسأحكي لكم هذه القصة بالتفصيل -  
مع شرح هذه الأوراق المشلومة - يومًا ما .. فنكروني  
وقتها .. ! ) .

كنت لي العجوز مخالبيها بالأوراق - بعد أن فكت قطعة  
( آس ) تضمها معًا .. وهمست لي وهي تمتص دخان  
السيجار :

- لخطها .. ! .. لاتفكر إلا في ( الزومبي ) وفي حادث  
التيبة ..

كثت الأوراق تفوح منها رائحة توابل وروائح عطرية

لا أعرف ماهي .. ، ولقد خلطتها وأنا أحاول - بوحى من  
غير - أن أركز تفكيري في ما طلبته منى برغم إيماني  
بسف الأمر كله ..

- والآن .. هاتها !

وتناولتها منى .. وشرعت تفرد لها بترتيب معين على  
المائدة وهي تلوك سيجارها دون أسنان .. ، ساحرة مخنكة  
تعرف عملها تمامًا فيما يبدو ..

- آها .. القلعة .. المنكة .. ثم الذئب .. ثم  
المنكة .. ثم ..

ولمحت آخر ورقة .. الورقة التي تمثل الموت في  
صورة هيكل عظمي يمسك منجلًا ويحصد الرؤوس ...  
أيما ما كان معنى ذلك الهراء فنهايته هي الموت .. الموت  
ولاشيء آخر ..

وسمعت صوتها - غطاء التابوت - يفتح من جديد :

- ويل لكما من شرك الموتى الأحياء ! ! ..

لن يكون هناك آخرون ..

ستفنان حين .. !

وحين تغرب شمس الظهيرة ..

تحترق القلعة ..

ويصرخ الذئب من الأعم ..



ومنه أخرجت حزمة من الأوراق :

أوراق لعب قديمة معدة منه على المواظ حقيقه . استعمالها ..

لأنه لن يكون هناك آخرون ..

بعد اثنين ..

ربما بعد ثلاثة ..

سنفتح قبور كثيرة ..

لكن التراب الأحمر سيغذي عينيه ..

ولن يرى ..

ويموت أجنيان ميتة الكلاب !!

( في لغتها الفرنسية كانت هذه العبارات ميجوعة ) ..

ثم انها أحنت رأسها وشرعت تجمع الأوراق في

صمت .. قلت لها :

- كل هذا ظريف .. ولكن ما معناه ؟

لم تجب وواصلت وضع الأوراق في الكيس .. بنظرة

شاردة ..

- لا أفهم حرفاً واحداً .. هلا شرحت لي ؟ !

تحنح ( جابرييل ) في كياسة .. وكان قد ظل صامتا

كالأسماك طيلة هذه المحادثة ... كان يخشى أمه كثيراً

ويرهبها دون شك ، وحين وضع كفه على يدي أدركت أن

ضياقتي قد انتهت ..

- لن أسمى لا تحب الكلام بعد. نبوءات ( التاروت ) ..

- نبوءات ؟ .. لم أسمع منها سوى مقطوعة شعرية

رقيقة جسيمة بـ ( البوت ) .. (\*) لكنها إذا أرادت أن

تخترني من شيء ما فمن الطبيعي أن أعرف ما هو هذا

الشيء .. هذا حقى ..

زيد صوته حزماً ولمس يده صلابة وهو يقول :

- انها لن تعطيك جواباً .. فهي تترك فهم ما قالته لك ..

والحادث القادمة ستعيد لك نكري هذه المقاطع بوضوح ..

عندئذ ستعرف ما ينبغي أن تفعله ... والآن حان وقت

العودة للفتنق .. !

تهنت في استسلام وتبعته للباب وأنا أشعر بخيبة الأمل

على الوقت الذي أضعته مع هذه المجنونة .. ولم استفد

شيء ..

وهنا سمعت صوتها يناديني في خشونة ..

- تنكسر ... !

التفت إليها متسانلا .. فقالت وهي تلوح بورقة الموت

يها :

- بعد اثنين .. ربما ثلاثة .. !!! !

★ ★ ★

(\*) ت. س. ( البوت ) : شاعر إنجليزي عظيم اشتهر بغموض

شعره وتعقيدها ..

وأشهر قصائده ( الأرض البيضاء ) و ( أربعاء الرماد ) ... وقد كان

له تأثير كبير في شاعرنا صلاح عبد الصبور .

## ٤ - ليلة الرعب ..

قال ( هارى ) وهو يمزق قطعة الورق بين أنامله :  
- أهنئك على الفزع الذى سببته لى ليلة أمس ... لقد  
خرجت من غرفتى لأخن سيجارة خين ووجدت هذه الورقة  
التي ترجونى فيها أن أتفذك ! ..  
ورمى قصاصات الورقة من النافذة قائلا :  
- ولكن بربك لماذا طلبت منى أن أتفذك قبل أن يحدث  
شيء ؟

- قلت لنفسى إننى إذا لم أعد حتى موعد استيقاظك  
صباحا سأكون حتما فى ورطة .. عندئذ ستكون لفظه  
( أتفدنى ) مناسبة جدا ... أما إذا عدت فإن الورقة لن  
تكون ذات بال لأتى سأوقظك بنفسى صباحا ..  
- مشكلتى هي أن كل أصدقائى عابرة .. !  
هرشت فى رأسى بتواضع .. وقلت :  
- والآن ماذا نفعل ؟ .. هل ننفذ ؟ !  
- تعنى نبوءة العجوز ؟

- .. والساقى .. و ( جابرييل ) .. الكل يجمع أن  
صيبة ستحدث لنا ..  
- على كل حال نبوءة الساحرة تتحدث عن اثنين وربما

كذلك - كما تقول أنت - أبى أن أمامنا فترة أمان قدرها  
سومان .. وربما أسبوعان ..

- وربما شهران .. وربما عامان ..  
قال ( هارى ) فى شرود وهو يجول غرفتى ويداه فى  
جيبه :

- على كل حال أعتقد - وأنت توافقنى - أننا لو أخذنا  
هذا التهديد مأخذ الجد فننحترم أنفسنا أيضا بعد ذلك ..  
قلت له فى كياسة :

- ولكن ما المانع من ترك هذه الجزيرة ؟ .. أنا  
لا أحبها كثيرا فى الواقع ..  
- لأن هذا جبن !

قالها كأنه يبصق .. فلم أشأ إستفزازة ..  
وفى هذه اللحظة وصلت ( ليندا ) و ( جيمى ) من  
جولتهما فى المدينة التي قررا القيام بها هذا الصباح برغم  
اعراضى ..

وكانت ( ليندا ) متحفزة وغاضبة ، و ( جيمى )  
متوترا بشكل مريب ..

شمة شيء ما فى وجه ( ليندا ) لا أعرف ما هو لكنه  
مختلف ..

الآن فهمت ..  
إن هناك خصلة كهيبة تم قصنها من شعرها الأشقر على

جانب الرأس الأيمن مما جعلها تبدو مشوشة المنظر  
ومضحكة إلى حد ما ..

- يبدو أنه (كوافير) أخرج جدًا يا (ليندا) .. !  
قلتها مداعبًا وأنا أشير لرأسها .. لكنها لم تضحك  
وصرخت في تنمر أن امرأة تربط رأسها بمنديل أحمر  
تسلت وراءها في زحام السوق .. وبسرعة جهنمية  
أخرجت مفعًا .. وأسكت بخصلات شعر (ليندا) الجميلة  
وقطعت حزمة لا بأس بها ثم ولت الأنهار قبل أن تفهم  
(ليندا) ما حدث ..

لقد نظرات الشفقة والحيرة على وجوه من تصادف  
رأوا المشهد كأنهم رأوه كثيرًا .. ولسان حالهم يقول :  
هذه ذى واحدة أخرى ! ..

قال (هارى) محاولًا تخفيف الجو المتوتر :  
- إنها أرادت تنكازًا ذهبيًا يا عزيزتى .. فحصلت على  
واحد .. !

قالت (ليندا) من بين أسنانها :  
- لو أن هذه الذئبة سقطت في بدي لأكلت قلبها .. أنت  
رجل ولا تعرف كم تحب المرأة منا شعرها ..  
أما أنا فقد بدا لي ما حدث مألوفًا إلى حد ما .. نعمًا  
أرادت المرأة خصلة من شعر (ليندا) ؟ ..

وصرخت في تنمر أن امرأة تربط رأسها بمنديل أحمر تسلت وراءها  
في زحام السوق .. وبسرعة جهنمية أخرجت مفعًا .. وأسكت  
بخصلات شعر (ليندا) الجميلة وقطعت حزمة لا بأس بها ..



امرأة ترتدى مندبل رأس أحمر .. أى أنها - بشيء من  
الخيال - غجرية .. وموضوع أخذ خصلة شعر ينكرنى  
بموضوع ( الأثر ) الذى يمارسه سحرة ريفنا المصرى ...  
خصلة من شعر الرجل أو المرأة توضع فى دمية من  
القماش ويتم إيذاؤها بشئى الوسائل ... والمفروض أن هذا  
الإيذاء ينتقل تلقائياً إلى صاحب أو صاحبة الخصلات ..  
إن هذا يبدو مألوفاً لكنى لم أجرو على مصارحة أحدهما  
بما لن يتذوقاه من خواطرى ومخاوفى الخاصة القامضة  
التي لن تثير سوى رعبهما أو سخريتهما ..  
فلايق هذه الفكرة المرعبة سجيئة فى رأسى ..  
ولأحترس ..

★ ★ ★

وغربت الشمس ..  
وكنت جالساً فى أحد القاهى أرشف فنجاناً من الشاي  
المعطر حين دخل ( هارى ) المكان وجلس على مائنتى  
متحمساً ..

- هيا بنا .. !

قلت فى هدوء وأنا أضيف السكر للشاي :  
- هذا اقتراح لا بأس به .. لكنى أعتقد أن من حقى أن  
أعرف إلى أين ؟

صاح فى غيظ وهو لا يدرى أيضاً أم يصرخ :  
- أن تكف عن هذه الردود الباردة المتحذقة ؟ ..  
لنفس مرة واحدة نشيء ما وعندئذ ستفهم الحياة ..  
- أنت تنسى أن أساتذتى كانوا إنجليزاً ... وكلهم شديدي  
البرود ، ويرون أنكم معشر الأمريكان مجموعة من  
المعتوهين الأثرياء ..  
- نأها .. !

ثم ارتشف جرعة من فنجان الشاي الخاص بى ..  
وهمس :

- إنها ليلة الموتى الأحياء .. !

- رائع ! ..

- أليس لك .. هذه الليلة هى ليلة العيد الدينى الخاص  
بسحرة ( الفودو ) ... وهم يباشرون فيها طقوس صنع  
( الزومبي ) .. ! .. تصور هذا يا صغيرى ..

- ومن قال لك هذا .. ؟

- إنها المعجوز ( أنجيلا ) التى تباع الزهور جوار  
الفلدى .. قالت لى إتهم يمارسون طقوسهم خلف النهر  
قرب قرية اسمها .. اسمها ..

وهرش رأسه فى قنوط :

- إن هذه الأسماء اللعينة تتشابه جميعاً ..

- ولكن ماذا يعنيها في هذا الأمر ؟ ! ..

ضرب بقبضته المائدة صاخًا :

- ألم تفهم ؟ .. يجب أن نذهب هناك .. !

- هل جئنا ؟ ! ..

- إنها فرصة العمر .. ، معى الكاميرا وجهاز التسجيل

في الحقيقة .. ونسوف نذهب هناك ونسجل للعالم أول

طقوس ( فودو ) يراها .. سأرسل صورة صنع

( الزومبي ) إلى مجلة ( لايف ) .. إنه المجد .. !

- وهل تعتقد أن أحداً لم يلتقط صوراً لهذا المشهد من

قبل ؟

- بالطبع يا صغيرى ..

وارتشف جرعة أخرى من فنجاني مضيئاً :

- إن أى غريب يرى هذه الطقوس مصيره الموت .. !

- وهذا يشير شفك ؟ ..

- طبعاً .. إنها الأرض البكر التي لم يرها مخلوق ..

إنها جبال القمر .. إنها كهوف المحيط .. إنها غرفة الهرم

الخفية .. إنها قمة ( إفريست ) .. وإن النصر الحق لهُو

أن ترتاد هذه الأماكن التي لم يسبقك إليها كائن حتى ..

أشرت بيدي إشارة سريعة إلى الساقى طائباً الغاتورة ..

ثم قلت لـ ( هارى ) :

- اسمعنى يا ( هارى ) .. أنت لاتعرف عنى الكثير ..

التي لمصيبة حبة .. بل لعنة عنى قدمين ... وفي كل مكان

أذهب إليه كنت أجد كارثة ما ، أو شيطاناً لا يراه سوى ..

وحتى حين بليت فى دارى ابتليت بأكل لحم بشر .. لهذا

لقد علمت خبرة لا بأس بها فى هذه الأمور ..

وعليه فأنا أرفض تمامًا هذا الاقتراح ..

- إذن سأذهب وحدى .. لقد استأجرت سيارة ( فورد )

صغيرة لهذا ..

- وأعود أنا إلى ( فلوريدا ) مع أرملة محطمة وطفل

بنهم .. ؟

- بالطبع .. فالجنباء يعيشون أكثر من سواهم ..

وهذه هى مشكلتى .. أنا لا أستطيع أبداً .. ولو على

سبيل التغيير - أن أقول كلمة ( لا ) بصوت مسموع ..

ولو كان الناس جميعاً على شاكلتى فإتنا جميعاً مجبرون

بلا أية إرادة ..

ولهذا - كما تتوقعون - وجدت نفسى راكباً اتسيارة

جوار ( هارى ) ذاهبين ( للاستمتاع ) بطقوس الموتى

الأحياء .. ! !

★ ★ ★

نحن الآن نشاهد طقوس ( الفودو ) الذى يمارسه سحرة

جزر ( الأنتيل ) ..



ولو أردت أن تتخيل المشهد فعليك أن تتخيل بيتا للجن  
يرقص فيه ألف شيطان .. وبدوى به ألف طبل .. فى ضوء  
ألف شمعة ..

تعال معى ولا تخف .. هات يدك فى يدي وتعال نخترق  
هذا الزحام ..

سنعبر هذا الزحام المكون من عشرات الشبان والشابات  
مبهورى الأتفاس متشابكى الأيدي .. وحاوئ ألا تشم رائحة  
العرق التى تملأ المكان ..

والآن احترس من أن تصطدم بهذا الراقص المحموم  
الذى يرتدى ثوب شيطان أحمر له ذيل وقرنان .. وحائظ  
من أن تتعثر فى هذه الراقصة التى ترتدى بذلة سوداء  
مرسوما عليها هيكل عظمى بالطلاء الأبيض وهى تتمرغ  
فى التراب من حين لآخر ..

والآن تقدم معى إلى هذه البقعة المضيئة التى تنيرها  
ألف شمعة لاتدرى متى وكيف أوقدوها .. ولا تخف من تلك  
الجمامج المستخدمة كمصابيح يخرج اللهب من عيونها  
فهى لم تعد تؤذى أحدا ..

هل تسمع صوت الغناء الجماعى ؟ .. وهل تسمع معى  
دوى الطبول ؟ إنه غناء رائع لكنه - للأسف - بلغة  
لا نعرفها ..

أما هذه المرأة التى تتلوى على إيقاع الطبول فهى  
ساحرتهم .. وهى كما ترى شابة حسناء لكنها مرعبة  
وقاسية كما يظهر من شكل فكها المربع ..

والآن تعال إلى الشجرة العتيقة .. شجرة البؤوط التى  
يلف عندها شاب أسمر عارى التجذع مقيدا بالحبال فى  
ومض مصلوب وعيناه تلمعان بنشوة عارمة كأنه تحت  
تأثير مخدر ما ..

العكاس الذهب يترقق على وجهه المدهون باللون  
الأخضر ..

فى حين يسقيه رجل قصير أعور جرعات من شراب  
أحمر فى إناء .. كلا .. ليس إناء .. إنه الجزء العلوى من  
جمجمة بشرية .. فلا تخف .. !

إنهم يلقونوه عبارات مسجوعة لا أدرى ما معناها ..  
والجمع يردد فى إصرار لفظة : ( بعلزبول ) ..  
( بعلزبول ) ..

هل أنت خائف ؟ .. لا أتومك كثيرا .. فأنا مثلك ..  
هل أنت مشمئز ؟ .. بالطبع .. إن هذا الجو الملوث  
لا يناسب الأشخاص الحساسين مثلى ومثلك ..

(لن .. تعال معى إلى مخبئنا - أنا و( هارى ) - بعيدا  
عن هذا الجمع المجدوب وراء شجرة كثيفة الأغصان  
لا يصلها ضوء المشاعل ولا الشموع ..

لاتحدث ضوضاء لأن جهاز التسجيل يدور منقطعاً هذه الأغاني اللعينة .. و ( هارى ) يصوب كاميراه مستعملاً عذسة الزوم والسرعة ( بى ) حتى لا يودى ضوء الفلاش بحياتنا إذا أحسن به هؤلاء المتعصبون ..

الساحرة تخرج أفعى من كيس خيشى وتلفها حول عنق اتقى المقيد وتردد كلمات ما ... أما المفزع أكثر من الأفعى فهو أن الفتى لا يبدو مهتماً بالأمر برمته ..

قال ( هارى ) وعينه على الكاميرا :  
- هل تفهم ؟ .. إن هذا الفتى هو ( الزومى ) القادم ...  
ولا بد أن هذا الحفل سينتهى بقتله ..

- يا للهول ! .. وهل سنكتفى بمشاهدة هذا .. ؟  
- إما أن ينتهى الحفل بقتله .. أو ينتهى بقتلنا جميعاً  
فماذا تفضل ؟ ..

ابتعت ريقى شاعراً بالعجز .. وأنا ألعن كل شرء فى هذا البلد بما فيه نحن .. وشرعت أراقب الأحداث الدامية فى توجس ..

والآن نتناول الساحرة شيئاً ما من نفس الكيس الخيشى فكتب الحماسة فى الجمع .. وتعالى الصيحات ..  
( كوديكسا ) .. ( كوديكسا ) ! ! !

إن ما فى يد الساحرة هو نعية قماشية رديئة الصنع

لمثل ( نجها ) .. وها هى ذى تقوم بعمل عدة ثقوب فى بطن النمية .. ثم تلقى بها فى اللهب لتحترق ..  
لرى هل تخدعنى عيناي أم أن هذه النمية تتلوى فى النار كالإنسان يحترق ؟ ! !

والصيحات تتعالى وإيقاع الغناء يزداد سرعة ..  
( كوديكسا ) .. ( كوديكسا ) ! !

وتعد الساحرة يدها بدمية أخرى وتغفل نفس الشرء ..  
لم نمية ثالثة امرأة بيضاء .. امرأة تغطى رأسها بخصلات شلواء ذهبية حقيقية .. و .. لكن .. لحظة من فضلك ..

خصلات شقراء حقيقية .. ! !

اللى الآن أرى من تشبه هذه النمية .. وأعرف متى وأين تمت سرقة هذه الخصلات من رأس صاحببتها .. صاحببتها التى لاتعرف ما يحدث لشعرها الآن .. صاحببتها التى حلت بها لعنة ( الزومى ) ! .. صاحببتها التى هى ( لندا ) .. ! ..

وقالملسوع وقتت صارخاً فى ( هارى ) :

- اسمع ! .. يجب أن ننتزع منهم هذه النمية .. !  
- ولكن ماذا .. ؟  
- لا وقت للشرح .. ! .. استعد للهرب .. ! ..

التطير في تصابرة وأمر محرهما ..

- هل جئت ؟ ..

- أسرخ .. ! .. خذ جهاز التسجيل معك ..

ودون قلعة أخرى أخرجت مسلحي وبرزت من مخبئي

خلف الشجرة متدقًا نحوهم ..

نحو كهنة السحر الأسود .. ! !

★ ★ ★

## ١٢ - هل نرجع سالمين ؟

والجنون ... ! ! ...

لو أن أحدكم يعرف علاجًا يساعدني على تسيان

المفريات العريضة فتساعدني به .. ! ..

وإن قل ليلة يستبد بي الأرق .. فأشرح لي استعادة

سريط الأحداث لداسي تلك الليلة القاسية .. ليلة الموتى

الأحياء ..

وسلط القلم من يدي .. !

★ ★ ★

والآن طذ عنك هذا المشهد ..

أنا أسرخ - كمشغول يتلوى في المصمم - وأكب في ثلاث

خطوات إلى حيث تظلم تساحرة ..

ولعل أن يلهم أحد تنزيء هناك وجهت لثمة هائية إلى

ذليلها المربع الخامس .. وانفزعنا الذميمة من بعدها ..

لم أطلعت طلقة رصاص في الهواء ..

لراجع السحرة وأعرانهم مدفوشين ..

لمست - في حركتي غير تحذرة - على عشرات

الدموع المسقطها .. وشمعتها .. وسقطت نظراتي من

على أنني ..

إلا أنني استطعت تطوير ..  
 ولم أفسح لن أطلق طفلة تحنن أخيرة قبل أن أوتى  
 الأهل .. إلى السيرة الواقعة في الظلام بين الأشجار  
 وممرها يزار ماها لياي ..  
 والى وثنتين قفزت إلى المقعد الأمامي جوار ( هاري )  
 الذي انطلق هائلاً في الطريق الأسفلتي لعاهد للمدينة ..

\* \* \*

وبعد بضعة دقائق من الصمت المتحفظ قال لي :  
 - والآن هلا شرحت لي ماها لياي ؟  
 ثم أطلق بحرف إما ناولته للتمية التماشية .. فألقى  
 عليها نظرة عاجلة ثم عاد يعيدني عن تطوير العظم ...  
 وقال :  
 - وماذا بها ؟ .. مجرد ندية محلية كئيبة يمكن أن  
 أرحب بها الأطفال .. ولا أعتقد أن ( جيمس ) سيحبها ..  
 - لم تطعم أبها النبي .. ؟ .. إن هذه الندية هي فتوش  
 ( اللدا ) ..  
 قال لي بلاهة حقيقية :  
 - فتوش .. ؟ .. عم تتكلم ؟ ..  
 الهدت لي صبر وقتي :  
 - الفتوش هو تمثال صغير يرمز لشخص حتى ويوضع فيه



ولعل أن يلهم أحد لي هناك وحيث كلمة عابئة إلى ذلك المربع  
 اللامي .. وانزعجت الندية من بها .. ثم أطلقت طفلة وحمامي أن  
 الخوا ..

شيء من متعلقاته كشره أو أنظاره ... ويعتقد البدائيون أن كل ما يحدث لهذه الدمية بصيب من ترمز إليه على نطاق أوسع يتناسب مع قارق الحجم ..

- إذن فقد شاهدنا هذه الليلة احتراق إنسان !

- ربما .. وربما كان الأمر كله هراء محضاً ..

وضع يده على عجلة القيادة وهو يعيد لى الدمية :

- إذن أرادوا الانتقام منى فى شخص ( ليندا ) ..

- هذا واضح .. تكنى استطعت أن أمنعهم مؤقلاً ..

- ولكن .. ألا ترى أنك تبالغ .. ؟! .. كل هذه

الضوضاء وإطلاق الرصاص من أجل خرافة ؟! .. إنك

طبيب وأنا خبير كمبيوتر يا بنى ..

أشعلت أول سيجارة أذخنها من ثلاث ساعات .. وقلت

وأنا أسأل :

- لا أعرف إن كانت خرافة أم لا ، تكنى لن أترك شيئاً

للاحتمالات ... وكل الأديان السماوية أكدت وجود السحر

الأسود ... لهذا لا أحب كثيراً - وأنت كذلك - أن نعود

للغندق لنجد ( ليندا ) متفحمة .. !

- ما زلت لا أصنقى ..

- اسمعنى .. إن وجود السحر لاشك فيه ... السؤال

الوحيد هو ما إذا كان هؤلاء سحرة أم نصابين .. ولن

نعرف هذا إلا إذا تجحوا فى إيداننا .. !

قال وهو ينظر للطريق شاردا :

- على كل حال فقد أزعجناهم بما يكفى .. ولن ننجو

من ذلك ..

- هذا صحيح .. أعتقد أن كل أتباع ( القودو ) وكل

( الرومى ) فى هذه الجزيرة يبحثون عنا الآن .. لقد

استغللنا الموت بجدارة ..

إن ما علينا عمله هو شيء واحد .. أن نعود للفندق

ونأخذ زوجتك وطفلك ونستقل أول طائرة إلى ( الولايات

المتحدة ) ... لقد صار قضاء ليلتنا هاهنا فى منتهى

الخطورة ..

- ربما كنت مُحفلاً يا صغيرى ..

وتحسست وجهى تحت العينين فى ضيق .. ثم قلت :

- ألم تلحظ شيئاً غريباً .. ؟ .. عهدى بك هو قوة

الملاحظة ..

نأملنى للحظة فى تدقيق .. ثم هتف مذهولاً :

- يا للسماء .. !

- نعم .. وأرجو أن تولد إظهار هلعك وشفقتك لآتى

مؤثر بما يكفى ..

لقد سقطت نظارتى عندهم فى أثناء صراعى .. !

مضى بقلود السيارة شاردا الذهن يضع دقائق .. ثم قال :

- هل تعتقد أنها تصلح .. ؟

- للفتيش ؟ .. لا أرى في الواقع .. هل سيصنعون  
دمية تمثلني ويلبسونها هذه النظارة ؟ ! .. لا أدرى ..  
- ولكن - لو صحَّ هذا الموضوع - فمعنى هذا أنك  
ضائع تمامًا .. إنهم يملكون إيداعك في أي وقت يشاءون  
وأي مكان تهرب إليه .. !

صحت في غيظ :

- أنا أعرف كل الجوانب الساحرة لهذا الموضوع  
فلا تستعرضها لي .. ! إن غذا جميلًا علينا بالعود  
بنظرتي فلا تحدثني عنه .. !

وهنا سمعته يئن بصوت مسموع .. فصحت في هلع :  
- ماذا بك .. ؟

- إنه المغص .. إن أحداث الليلة لا تلائم فرحتي .. !  
- بالك من وعد .. ! حسبت أن لعنتهم قد لحقت بك ..  
- على كل حال فهم لم يضيعوا وقتًا ..

ورأيته يشير إلى الطريق أمامنا الذي انعكست عليه  
كشافات السيارة فلمحت في ضوء السيارة مجموعة من  
الوطنيين يقفون يعرض الطريق مشعلين ناراً على الأسفلت  
جعلت وجه ( هاري ) يتألق حيث جلس في مقعده وقد  
تصلبت يداه على عجلة القيادة ..

قالوا همسكون بشيء ما بين أصابعهم السمراء .. هيكل  
عظمي كامل تم ربط أطرافه ببعضها ليبدو كأنه واقف بسد  
الطريق علينا ..

وقان الغضب يلتهب في عيونهم ..  
صحت في هلع :

- ( هاري ) .. ! .. لا تتوقف .. ! .. إنهم  
بالظن ولنا .. !

قال وهو يضغط على أسنانه :

- إن أستطيع أن أدهمهم بمسارتي ببساطة .. إن هؤلاء  
المدغمسين لن يتراجعوا حتى إذا اندفعت نحوهم  
لأرهم ..

لم هتف في توحش :

- لكن هناك حلاً يا صغيري .. !

وبالفصي سرعة داس على الفرامل فأثت العجلات  
مذمبة .. وارطم رأسنا بلوحة القيادة ... وبمهارة  
لا تصدق أدار عجلة القيادة على آخرها .. وشد ذراع  
السيارات كأنه يبغي خلعه ..

والعذرت السيارة خارجة من الطريق الرئيسي متسللة  
بين الأشجار .. وكان ضوء الكشافات ينعكس على الأشجار  
العظيمة التي أخذت تتسابق نحونا كأنها تتنافس أيها  
سيهملنا أولاً .. !

لكن ( هارى ) تفادها الواحدة بعد الأخرى ..  
ويعد دقائق كنا قد استعنا توازننا وبدت مسيرتنا أكثر  
انتظامًا ..

- إن الفورد سيارة رائعة حقًا ..  
- يالك من أمريكى مغرور .. ! .. لو كانت هذه السيارة  
ألمانية لقلت إنك أنت السائق البارح حقًا ..  
- ربما .. لكننا نجونا على كل حال وهذا هو المهم  
بصرف النظر عن جنسية السيارة وسائقها ..  
- والآن .. هل تعرف كيف نعود للطريق الرئيسى .. ؟  
- إننا قريبان جدًا من ( كينجزثن ) ولا يجب أن تكون  
هنالك مشكلة ما ..  
- هذا ما أرجوه .. وأرجو أن تتذكر أن مسنسى فارغ  
من الرصاص الآن ..

★ ★ ★

إنها الحقاير ..  
لقد وصلنا فى فرارنا الأخرق إلى مقابر القرية ..  
وضوء القمر الشاحب الحزين يفترش شواهد القبور  
محدثًا نك الأثر الدرامى الذى يعرفه كل ذى خيال خصب ..  
إن هذا الكوكب المعلق هو مرآة لحالتك النفسية ..  
حين تجلس مع حبيبك تشعر أنه بُزّيًا معلقة خصيصًا  
من أجلكما وتتذكر كلمات ( روميو ) و ( جوليت ) وأبيات  
( قيس ) و ( ليلى ) ..

وهن تكون سعيدًا تشعر أنه وجه بضحك خصيصًا من  
أهلك ..

أما حين تخوض موقفنا المرير فلن ينكرك القمر سوى  
بالسحرة والمذعوبين وتحذير القنماء من سقوط ضوء  
القمر عليك وأنت نائم .. إلخ ..  
غريب أن يجمع شيء واحد بين الأمل والحب  
والشاهرة والرعب .. ! ..

ولكن دعنا من هذا الاستطراد ..  
إن الوقت لا يناسب هذا الكلام لأن هناك خبرًا صغيرًا لابد  
أنك عرفت ما هو .. نعم .. هو كذلك .. ! .. لقد تعطلت  
السيارة .. ! !  
إنها الواحدة صباحًا ..

وبعد عشرات المحاولات المستعينة من ( هارى ) بدأنا  
أبأس .. إن هذه السيارة ( الرائعة ) لم تتحمل كل هذا  
الإلهاء الذى استنزفها .. وعلى كل حال ليس الوقت مناسبًا  
فى أحدثه عن رأيى فى صناعة بلاده للسيارات ..  
قال ( هارى ) :

- على العموم .. لا مفر من الانتظار .. نحن فى مأمن ..  
.. ( ولدا ) .. و ( جيمى ) .. ؟ ..

- إتهما لن يغادرا غرفة الفندق ... ولن بصيبيهما سوى قلق شديد علينا ... لكن ( لندا ) - كما أرجو - سنتخذ أننا نلهو في مكان ما في المدينة حيث لا يصبطح أحد زوجته ..

- تلهو .. ؟ ! ياله من لهو .. !

وفي الظلام بدا لنا شيء يتحرك ..

كأنه رجل يرتدى ثياباً ممزقة ويرضى على وجهه قبعة من القش .. وكان يتقدم نحونا في تودة وثقة .. حتى دخل دائرة ضوء القمر ..

وهنا تصلب جسد ( هاري ) .. وصرخ في رعب :

- ( رفعت ) ! .. أغلق زجاجك. وأمن مفتاح الباب ..

- ولماذا .. ؟

- إن يدي هذا الرجل متآكلتان تماما .. إنه ليس مخلوقاً

حياً .. إنه من ( الزومبي ) .. !

★ ★ ★

ولكن ...

دعنا من هذا الموقف السخيف وكيف خرجنا منه وتعال

معنى إلى ماهو أهم ..

إن الجلوس في سيارة معطلة جوار المقابر في حين

نقترب منك جثة حية متعفنة لهو أمر عاوى قد يحدث

للكثيرين ..

أما الغريب حقا فهو ما حدث لـ ( ليندا ) في تلك

الساكنات ..

لها بعد حقت ( ليندا ) أنها جلست في حجرتها تنتظرنا

وهي تلهو بالملل .. وكان ( جيمى ) الصغير قد نام منذ

ساكنين بلبابه كاملة ..

وتقول ( ليندا ) إنها أخذت ثلعتنا في سرها متخيلة

الأشياء المظلمة التي لابد أننا نفعلمها الآن في إحدى حانات

( البازلان ) الرخيصة ..

حين نلق الباب ..

ولقد جوار الباب وسألت في حذر :

- من .. ؟ !

- الملقى يا ( ليندا ) .. هذا أنا ..

- أه .. ! .. د. ( رفعت ) ؟ ! ! ..

- نعم .. هو أنا .. ! .. ولا تسألينى كيف .. هذا هو

أريته حين فتحت الباب ..

المهم أليس - كما نقول - دخلت الغرفة في لهفة وكنت

أريها - أنا - في ذراعى ووجهي .. وقلت لها إن

( هاري ) في مازق وإنها يجب أن تأتي لأنه يريدنا وقد

أور الصباح .. حجة مقنعة جداً ..

وأما طلبك تفسيراً منى صرخت فيها أن أسرعى

لأنك لدينا ..



## ٦ - شرك الموتى الأحياء ..

كان ( الزومبي ) يقرب من سيارتنا في تؤده ..  
وقالنا - أنا ( هارى ) - جالسين منقلبين وقد توقفت  
السيارة والفتاة الحيوية تقريبا بما فيها الهضم والتنفس  
والفكير ..

القرب من زجاج السيارة ناحيتى .. فتمتحت وجهه  
مفصلا بالزجاج على بعد سنتيمترات من وجهى .. وكان  
يأملنى فى اهتمام ..

إن أسف ملامحه حتى لا أثير تقززك ، لكننى أتركها  
أهياك .. لقد رأيت ( دالماس ) معى فى المقهى ..  
حسن .. دهلى أؤكد لك أن ( دالماس ) كان شديد الوسامة  
إذا ما قارناه بهذا ( الأخ ) .. !

لا بد أن ( دالماس ) كان حديث العهد بالتحلل العضوى ..  
دار ( الزومبي ) فى بطء حول السيارة كأنه (جنرال) يتفقد  
فرقه فى الميدان ... وعند ناحية ( هارى ) شرع يتأمله  
ببعض التفهيم مثلما فعل معى .. ثم امتدت يده إلى مقبض  
الباب وطلق بجذبه مرارًا دون جدوى محاولاً فتحه ..  
ودون كلمة واحدة استدار ( هارى ) إلى الباب الخلفى  
الذى لمينا تأملمه وضغط الزر قبل أن يجرب ( الزومبي )  
ذلك الباب ..

من ثم لفت ( جيمى ) فى جرام صغير - وهو يئن  
متنمراً - وضمته إلى صدرها لأنه لم يكن على استعداد  
للمشى .. ثم أغلقت الحجرة بالمفتاح ونزلت معه - أعنى  
معى - إلى بهو الفندق حيث أخبرت الموظف أنها قد تتأخر  
ثم خرجت معى إلى الشارع المظلم الذى يتعالى فيه نباح  
الكلاب ..

ألم تلحظ أى شيء غير عادى .. ؟  
بلى .. لاحظت .. لأن ( ليندا ) امرأة شديدة النكاء ..  
لاحظت أن جروح يدي ووجهي خالية من الدماء ..  
مجرد شقوق فى اللحم بلا أى أثر لأوعية دموية ممزقة ..  
ونكن ما الذى يعنيه كل هذا ؟ .. هكذا سألت نفسها ..  
ثم قالت فى سرها : إن الوقت لا يتسع لهذه الملاحظات  
السخيفة ...

\* \* \*



كان (الرومي) يقرب من سيارتنا في توده ..

وكما - أنا و ( هاري ) - جالسين متقصين وقد توقفت كل واحد

الحيوية تقريباً ..

ومضت عشر دقائق ..

لذلك الشيء بجول حول العربة في فضول كأنه قط يرى  
الغدا لأول مرة ولا يعرف من أين يهاجمه .. أو كأنه بداني  
يرى عربة سردين ولا يعرف كيف يفتحها .. أو أي شيء  
أمر يناسب خيالك ..

ثم إنه عدل عن الأمر كله واستدار مختفياً في الظلام ..

صاح ( هاري ) في جذل :

- لقد نجونا .. ! .. نجونا يا صغيري .. !

قلت دون حماسة :

- إنها هدنة لا أكثر .. !

- وماذا يجعلك تظن ذلك .. ؟ ..

- لا أدري .. أعتقد أنه يعتبر السيارة عربة

( بولوبيف ) مليئة باللحم الشهى .. وهو - حتماً - ذاهب

للبحث عن فتاحة .. ! .. مطرقة مثلاً يهشم بها الزجاج أو

مزبد من زملائه يتككون السيارة .. !

- بالك من متشائم .. !

ثم نفخ ليزيل ماتراكم في صدره من انفجالات متوترة ..

وهلف :

- ولكن .. أي مخلوقات شنيعة هذه .. ! .. أي

شياطين .. ! .. هل رأيت وجهه حين ألقاه بزجاج

النافذة .. ؟ .. سيظل يورق أحلامي ماحييت ! ..

قلت له وأنا أنزل الزجاج طبقاً للهواء :

- رأيت .. وأدركت أن الأمر كله قد لا يكون مرعباً إلى

هذا الحد ..

- ماذا تعنى .. ؟ !

قلت وأنا أشعل سيجارة :

- إن هذه الملامح المتآكلة المتجددة الشبيهة بالأسد ..

والعين التالفة .. والأطراف المتساقطة ... كلها تبدو لي

أقرب إلى حالة متقدمة من مرض الجذام المتكثرتن .. حائلاً

عوملت بإهمال شديد ولم تتلق أى نوع من الرعاية .. وفر

حياتى لم أر هذه الدرجة من التدهور ..

- الجذام المتكثرتن ؟ .. لا أفهم .. أنا أعرف أن الجذام

متفش في جزر ( الهند الغربية ) ... لكن الأهالى يعرفوننا

بلاشك ولن يخذعوا فيه ..

قلت وأنا أنفث الدخان فى الظلام ..

- هذه مجرد فروض .. إن شرود هؤلاء الأشخاص

وغرابة أطوارهم مع اللون الرمادى الغريب ليشرتهم .. ما

هالة الغموض المحيطة بالموضوع كله - مما ينفر الناس

من التفكير فيه - مع الظلام وبعض الرتوش البارعة .

كل هذا قد يخذع حتى الأطباء أنفسهم وأنا أولهم ..

لكن هذه - كما قلت - مجرد فروض .. أنا لا أومن

بشيء اسمه الموتى الأحياء لأن هذا يعارض الدين ..

ويعارض العلم ..

لغلى حانف مثك وأشعر بالرعب فى عظامى ... هناك

شيء لا نعرف كنهه يحدث هاهنا ..

قال ( هارى ) وهو يعث فى مفاتيح السيارة :

- على كل حال فإن منطقك العلمى لا ينفى أن هناك من

يريد قتلنا وأنا فى مأزق حقيقى ... وسواء عندى أكان

من يقتلنى حفنة من ( الزومبي ) أو حفنة من ( المعجذومين )

فالأمر لا يختلف كثيراً !

نظرت فى ساعتى وكانت الثانية بعد منتصف الليل ..

رفعت رأسى وقلت لـ ( هارى ) :

- إن بقاها هنا لا معنى له الآن لأن هذا الشيء سيعود

جنماً ومعه زملاؤه أو ما يفتح به السيارة .. ولهذا أرى

أن نحاول الفرار على أقدامنا ..

- هذا هو ما كنت على وشك اقتراحه ..

★ ★ ★

ومضينا بين الأشجار نتحسس طريقنا فى ضوء القمر

مبهذين عن منطقة المقابر ... ولم ننس أن نأخذ معنا

القاسمير وأجهاز التسجيل .. والدمية .. كان ظلامنا يفتقرشان

الأرض كليبين صامتتين ..

ولا صوت هنالك سوى صوت ذلك الذئب الذى يتبادل عبارات الغزل مع رفيقته .. وسوى صوت أرجلنا وهى تحتك بتراب الأرض الأحمر ..

إن تربة ( جامايكا ) حمراء اللون شديدة الخصوبة .. على أن نسبة لا بأس بها من أراضيها تتكون من الحجر الجيرى ..

وبدأت الأمطار الموسمية تهطل ..

وقجأة أشار ( هارى ) إلى بعيد ، إلى ضوء كوخ من الغش يلف وحده بين الأشجار وقطرات المطر تتحدر فوق سقفه .. إنه المأوى أخيراً ..

وهرعنا جرياً إلى الكوخ .. وعلى باب المصنوع من قش مجدول وجدنا أداة تصلح كمقرعة .. وكان ضوء ما - غير كهربي - يتسرب من شقوق الجدار العتيقة حين قرعنا الباب مرتين ..

وبعد دقيقة سمعنا حفيفاً .. وانفتح الباب فى حذر عن امرأة عجوز ترمقنا فى شك .. وكان ظهرها للنور فلم نتبين وجهها جيداً ..

انحنى ( هارى ) فى كياسة .. وقال بالفرنسية :

- مساء الخير يا مدام .. وأنا وصديقى قد تعطلت سيارتنا واعتقدنا أنه قد يكون شيئاً لا مبالغة فيه إذا ما سمحت لنا باللجوء من الأمطار ..

هذه اللغة السخيفة التى يستعملها ؟ .. إنه أسلوب مشهور عند من يتحدثون الفرنسية وهم ليسوا فرنسيين .. انهم يعتقدون أن التخذلق والتراكيب المعقدة تجعل فرنسيهم أكثر أناقة ..

وعلى كل حال لم يبد أن العجوز قد فهمت حرفاً .. ا  
للك ( هارى ) فى تشف :

.. ولهم لك الرائعة لأنها لاتفهم الفرنسية ..

على أن العجوز هزت رأسها .. وأومات لنا كى ننفذ الفرج .. إن الأمر لا يحتاج على العموم للكثير من الفكاهة فى التعرف عم لتحدث وماذا تريد ..، وعلى كل حال نحن لا نبدو بالصومس أو - على الأقل - ليس فى هذا الكوخ العجيب شيء يسرق ..  
وهكذا دخلنا ..

وقام الكوخ من الداخل أسوأ بمراحل منه من الخارج ..  
سفال معلقة ملائ بالبصل والموز .. وزجاجات ممتلئة  
هائلة من أى شيء .. وموقد كيروسين بدائى عليه قدر  
فار يلقى مابه من طعام خبيث الرائحة .. !

وأشارت لنا المرأة إلى الأرض فجلسنا فوق بعض  
الحرق القماشية المتسخة ونحن نأمل - فى سرنا -  
ألا نأخذها لشوة الكرم العاتى فنقدم لنا العشاء .. !

الجو كان حاراً .. ثم إن ثورتنا الداخلى جعل دماغنا تغلى  
فلم يكن من الممكن أن نصاب بالبرد ..

كل ما هنالك هو أن هذه الأمطار جعلت الرؤية صعبة  
قليل ..

وبعد دقائق لمحنا ضوء سيارة من بعيد ..

انطلقنا وضع ( الأوتوستوب ) بشكل مبالغ فيه حتى أننا  
قلنا لسد الطريق بجسدنا .. وهى حماسة كاريكاتورية  
لا يمر لها أبداً ..

ولم يكن هناك داع لهذا لأن صاحب السيارة كان ينوى

التوقف بالفعل ... واقتربنا منه فى حذر شديد لأننا

انطلقنا .. ولا لوم علينا - أنه ( زومبى ) آخر ... ثم إن من

يقود سيارة فى الرابعة صباحاً لجدير ببعض التشكك ..

لقد كان شاباً أنيقاً وسيماً .. عيناه سلميقتان وأسنانه

عظيمة ولون بشرته أسمر جميل .. لهذا ركبنا السيارة معه

والنظر لغير بالعرفان بالجميل كما لم تشعر به من قبل ..

انظران لا حد له تجاه السيارة وصاحبها والقدر

والأمطار .. وكل شيء ..

.. فلما ذاهبان للمدينة ؟

فإنها بمراسية ممتازة .. فهزرت رأسى بالمواقفة ..

فوجدت السيارة تنهب الطرقات .. وقد توقفت الأمطار

إلا أنها شرعت بالفعل تصب لنا شيئاً فى علبتين قديمتين

صنعتين من علب اطعام المحفوظ .. وقدمته لنا ..

وهنا استرعى انتباهى شيء فى يديها ..

كانتا متآكلتين .. وقد سقطت بعض السلاميات ..

رفعت عينى إلى وجهها .. فرأيت أبقها المجدو

وبشرتها الرمادية ..

لقد دخلنا الكوخ وجلسنا دون أن ندقق فى ملامح

لحظة واحدة .. ويا لها من حماقة .. ! .. إنها واحد

منهم .. !

ويبدو أن ( هارى ) قد رأى مارأيته لأن ظاهرة الإشب

السايكوفيزيائى قد مارست سلطانها علينا فى ثوان .

معاً انتابنا ذلك الرعب الذى لايعرف المنطق ..

ولم نسأل أنفسنا لحظة واحدة عن الضرر الذى تسببه

هذه العجوز - حتى ولو كانت جثة حية - أن تسببه لنا

يجب أن نهرب .. ! .. يجب ..

وقبل أن نتبادل كلمة واحدة وجئنا نفسينا نركض ن

الأمطار متجهين إلى لا مكان .. !

★ ★ ★

وأخيراً وجدنا الطريق الأسفلتى ..

وهناك وقفنا وشغرتنا مبتل وثيابنا غارقة بالماء

ولا صوت هناك سوى صوت ذلك الذئب الذى يتبادل عبارات الغزل مع رفيقته .. وسوى صوت أرجلنا وهى تحتك بتراب الأرض الأحمر ..  
إن تربة ( جامايكا ) حمراء اللون شديدة الخصوبة .. على أن نسبة لا بأس بها من أراضيها تتكون من الحجر الجبرى ..

وبدأت الأمطار الموسمية تهطل ..

وفجأة أشار ( هارى ) إلى بعيد ، إلى ضوء كوخ من القش يقف وحده بين الأشجار وقطرات المطر تتحدر فوق سقفه .. إنه المأوى أخيراً ..

وهرعنا جرياً إلى الكوخ .. وعلى باب المصنوع من قش مجدول وجدنا أداة تصلح كمنقعة .. وكان ضوء ما - غير كهريى - يتسرب من شقوق الجدار العديدة حين قرعنا الباب مرتين ..

وبعد دقيقة سمعنا حفيفاً .. وانفتح الباب فى حذر عن امرأة عجوز ترمقنا فى شك ... وكان ظهرها للنور فلم نتبين وجهها جيداً ..

اتحتى ( هارى ) فى كياسة .. وقال بالفرنسية :

- مساء الخير يا مدام .. أنا وصديقى قد تعطلت سيارتنا واعتقدنا أنه قد يكون شيئاً لا مبالغة فيه إذا ما سمحت لنا باللجوء من الأمطار ..

ماهذه اللغة السخيفة التى يستعملها ؟ .. إنه أسلوب مشهور عند من يتحدثون الفرنسية وهم ليسوا فرنسيين .. إنهم يعتقدون أن التحذلق والتراكيب المعقدة تجعل فرنسيهم أكثر أناقة ..

وعلى كل حال لم يبد أن العجوز قد فهمت حرفاً .. ! قلت لـ ( هارى ) فى تشف :  
- وفّر لفتك الرائعة لأنها لا تفهم الفرنسية ..

على أن العجوز هزت رأسها .. وأومات لنا كى ندخل الكوخ .. إن الأمر لا يحتاج على العموم للكثير من الذكاء كى تعرف عم نتحدث وماذا نريد ... وعلى كل حال نحن لا نبدو كالمصوص أو - على الأقل - ليس فى هذا الكوخ الحقيقى شيء يسرق .. وهكذا دخلنا ..

وكان الكوخ من الداخل أسوأ بمراحل منه من الخارج .. سلال معلقة ملاءى بالبصل والموز .. وزجاجات ممتلئة خالية من أى شيء ... وموقد كبروسين بدائى عليه قدر فخر يغطى مابه من طعام خبيث الرائحة .. !

وأشارت لنا المرأة إلى الأرض فجلسنا فوق بعض الطرقات القماشية المتسخة ونحن نأمل - فى سرنا - ألا تأخذها نشوة الكرم الحاتمى فتقدم لنا العشاء .. !

إلا أنها شرعت بالفعل تصب لنا شيئاً في علبتين قديمتين  
صنعتين من علب الطعام المحفوظ .. وقدمته لنا ..  
وهنا امتنع عن انتباهي شيء في يديها ..  
كانتا متأكلتين .. وقد سقطت بعض السلاميات ..  
رفعت عيني إلى وجهها .. فرأيت أنفها المجدوع  
وبشرتها الرمادية ..  
لقد دخلنا الكوخ وجلسنا دون أن ندقق في ملامحها  
لحظة واحدة .. وبألها من حماقة .. ! .. إنها واحدة  
منهم .. !  
ويبدو أن ( هاري ) قد رأى مراهبته لأن ظاهرة الإشعاع  
السايكوفيزيالي قد مارست سلطاتها علينا في ثوان ..  
معا انتابنا ذلك الرعب الذي لا يعرف المنطق ..  
ولم نسأل أنفسنا لحظة واحدة عن الضرر الذي تستطيع  
هذه العجوز - حتى ولو كانت جثة حية - أن تسببه لنا ..  
يجب أن نهرب .. ! .. يجب ..  
وقبل أن نتبادل كلمة واحدة وجئنا أنفسنا تركض تحت  
الأمطار متجهين إلى لا مكان .. !  
\* \* \*

وأخيراً وجدنا الطريق الأسفلتي ..  
وهناك وقفنا وشغرتنا مبتل وثيابنا غارقة بالماء لكن

الجو كان حاراً .. ثم إن تورنا الداخلي جعل دماغنا تغلي  
لهم يكن من الممكن أن نصاب بالبرد ..  
كل ما هناك هو أن هذه الأمطار جعلت الرؤية صعبة  
هنا ..

وبعد دقائق لمحنا ضوء سيارة من بعيد ..  
اتخذنا وضع ( الأوتوستوب ) بشكل مبالغ فيه حتى أننا  
كنا نسد الطريق بجسدينا .. وهي حماسة كاريكاتورية  
لا مبرر لها أبداً ..

ولم يكن هناك داع لهذا لأن صاحب السيارة كان ينوي  
التوقف بالفعل .. واقتربنا منه في حذر شديد لأننا  
توقعنا - ولا لوم علينا - أنه ( زومبي ) آخر .. ثم إن من  
يقود سيارة في الرابعة صباحاً لجدير ببعض التشكك ..  
لكنه كان شاباً أتيفاً وسيماً .. عيناه سليمتان وأسنانه  
كاملة ولون بشرته أسمر جميل .. لهذا ركبنا السيارة معه  
ونحن نشعر بالعرقان بالجميل كما لم نشعر به من قبل ..  
امتنان لا حد له تجاه السيارة وصاحبها والقدر  
والأمطار .. وكل شيء ..

- أتتما ذاهبان للمدينة ؟

قالها بغرسمية ممتازة .. فهزرت رأسي بالموافقة ..  
شرعت السيارة تنهب الطرقات .. وقد توقفت الأمطار

لكن الوحل كان يملأ الدروب الآن .. كل شيء كئيب غريب  
كأنا في كابوس ، وبذت لي حياتي في مصر وعالمي  
الخاص شيئاً بعيداً جداً ومرهقاً ... حتى الفندق و ( ليندا )  
و ( جيمي ) و ( جابريل ) .. كلها أشياء قادمة من عالم  
الأحلام ... وأن هذا الكابوس لن ينتهي أبداً .. لا يمكن أن  
ينتهي ..

ومذ الشاب يده إلى قطعة قماش وشرع ينظف آثار بخار  
الماء التي ولدتها أنفاسنا الحارة على زجاج النافذة ..  
وهنا التفت إلى ( هارى ) حيث جلس في المقعد الخلفي ..  
كانت عيناه متصلبتين ترمقان نفس الشيء الذي أثار  
فزعى ..

كانت يد الشاب شبيهة بالمخالب البيضاء الطويلة وهي  
تطبق على قطعة القماش .. !

إنه لكابوس .. ! .. فقط في الكوابيس يحدث  
هذا .. ! .. أن تهرب من شيء ما .. وتستجد بمن تجده  
فيدير وجهه ببطء لك .. عندئذ تكتشف أنه ...

لا .. ! .. فلتهرب يا ( هارى ) .. ! .. فلتهرب .. !  
كنا في أسوأ حال . وقد هبطت حالتنا العصبية إلى  
التحريض ... كنا على حافة الانهيار وقد بدا لنا أننا سنظل  
نصرخ رعباً حتى نموت ..

وهنا التفت لي الشاب .. فلمح نظرتي إلى يده .. قال  
في شيء من الحرج :

- أنا آسف .. ! .. أرجو أن تسامحني ..

ثم أنزل يده عن الزجاج مدمعاً :

- إن كفى الصناعية تحدث هذا الأثر في نفس كل من  
يرأها أول مرة .. إنه ذلك الحادث الذي أطاح بها منذ  
سنتين ..

ثم رفع يده وشرع يفتحها ويفلقها في حركة ميكانيكية :  
- لقد قمت بتكيب هذه اليد في ( سان فرانسيسكو )  
العام الماضي .. وهي تؤدي عملها بكفاءة .. لكنها مرعبة  
ولا أنكر هذا ..

تبادلت مع ( هارى ) النظرات .. ثم تنفسنا  
الصعداء .. ! ..

لقد جرحنا هذا الشاب الرقيق في مقتل ... لكنه لو علم  
ما مررنا به في هذه الليلة الرهيبة لما لامنا لحظة ..

على كل حال فإتنا شرعنا - وقد نسينا واجب  
الحذر - نحكي له أحداث تلك الأمسية .. وقد بدا لي  
متعاطفاً متفهماً .. ونصحنا أن نغادر ( جامايكا ) بأقصى  
سرعة ممكنة لأن سحرة ( الفودو ) لا يعرفون المزاح ..  
سألته ونحن ندخل شوارع ( كينجزتن ) الخالية :  
- هل توجد مستعمرات جذام قرب هذه القرية ؟



قال وهو يبتسم :

- توجد واحدة .. لكن ( الزومبي ) ليسوا مجذومين إذا  
كان هذا ما تعنيه ..  
إننا هنا نعرف مريض الجذام جيدا ولن نخطئ تشخيص  
مرضه ..

وعلى كل حال أنا لم أر ( زومبيا ) فى حياتى ..  
قلت له فى غيظ :

- إنك لمحفوظ .. أما أنا .. فأقضى فى ( جامايكا )  
يومين عننجد أجد كل ( زومبي ) الجزيرة فى أثرى ، أذهب  
لروماتيا - أسبوعيا فأجد نفسى مهدداً بالتحول إلى  
( مذهب ) ... وأقضى يوماً واحداً فى ( اسكتلندا ) فأكلت  
أهلك بين أنياب وحش ( لوخ نس ) ..

كل هذا فى حين يوجد من لم ير هذه الأشياء من السكان  
الأصليين .. إننى لإنسان غريب .. ! ..  
حقاً إننى لإنسان غريب ..

★ ★ ★

كانت أضواء الفجر تغزو المدينة حين دخلنا فندق  
( سان رامون ) منهكين محطى الأجساد والأعصاب ..  
والخمر يزحف لرأسينا ..  
وفى المدخل كان عمال النظافة قد بدعوا يعارسون

عملهم اليومي وكان موظف الاستقبال محمر العينين من  
فرط السهر حين رأنا داخلين ، فقال لى وهو يتعجب  
ويحاولنا مفتاح الغرفة :

- هل السيدة لم تبت هنا الليلة ؟ !  
- أية سيدة ؟

- السيدة الأمريكية وطفلها ... ألم تخرج معك فى  
منتصف الليل ؟ !

لقد كنت جريحا وقتها ياسيدى وإنها لمعجزة أن تُشفى  
فى غضون ست ساعات فقط .. !

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN

## ٧ - أعيذوا لى زوجتى ! ..

كان النقيب ( مارسيل ) جالسا فى مكتبه وقد بدت عليه الدهشة ..

كان قد فتح ياقة قميصه وفك ربطة عنقه طلبا لبعض التهوية فى جو الظهيرة الرطب القانظ ... وكان أمامه كوب من عصير الليمون المثلج تكاثف البخار عليه من الخارج .. رابع كوب يشربه فى هذا اليوم ..

ولم يكن يرجو شيئا فى العالم سوى أن يترك وشأنه حتى يجيء الليل بأنسامه الرحيمة ..

لكن ( هارى ) لم يكن على استعداد لترك أحد وشأنه فى هذا اليوم .. كان نامى اللحية منكوش شعر الرأس مبعثر الثياب ... وكان واضحا أنه مسعور .. وأنه سينفجر صارخا فى أية لحظة فى أى تعيس حظ يحاول أن يستغزه أو يدعوهُ للتعلل ..

وكان النقيب يقول فى استرخاء وهو يقلب كفيه على المكتب :

- والآن دعنى أسمع القصة مرة أخرى ..

صاح ( هارى ) فى هستيريا كما كنت أخشى :

- قلت لك إن هؤلاء ( الزومبي ) خطفوا زوجتى وابنى ..

- وتقول أيضا إن صديقك المصرى هذا هو الذى خطفهما فى حين من المستحيل أن يكون قد فعل لأنه كان معك فى المقابر .. أليس كذلك ؟ .. حسن .. دعنى أصارحك أننى لا أفهم حرفا ..

- ومن يفهم إذن ؟ !

- دون انفعالات من فضلك ..

- اسمعنى أيها الضابط .. أنا أريد القنصل .. أريد قنصل بلادى .. ! ..

أبتسمت فى سرى لأننى تذكرت كلماتنا فى تلك الليلة عن ( الأمان القوي ) .. وكيف كان ( هارى ) يرى أن عبارة : ( أريد القنصل ) هى أهم عبارة فى أية لغة أجنبية ... لقد صلق كلامك يا ( هارى ) ولكم كنت أود لو كنت مخطئا .. لكننى - بالطبع - لن أجرو على إعلان هذا الذى أفكر فيه لأن الظرف لايسمح بحال ، واعتقد أنك توافقتنى على ذلك ..

قال النقيب وهو يرتشف كوبه :

- فى العادة لااعتبر المفقود مفقودا حتى تمر أربع وعشرون ساعة على اختفائه .. لهذا لا أرى أن اختفاء زوجتك اثنتى عشرة ساعة أمر بوجب القلق .. صرخ ( هارى ) وقد فقد نهائيا قدرته على الإصغاء المهذب :

لايوجب القلق ؟ .. حين تغادر امرأة وطفلها الفندق في منتصف الليل وحيدين في جزيرتكم العامرة باللصوص والأفاقيين والسحرة، فإن هذا وحده كاف لجعنى أحترق ! .. والآن قل لى ما الذى يوجب القلق ؟ .. أن تجد جثتيهما ؟ .. !

أحسنت يا ( هارى ) .. ! .. إتنى محروم من الزوجة والولد لكنى كنت سأفعل وأقول نفس الشيء لو أتنى فى مكانك .. إتنى أحب الرجل الذى يتحول إلى وحش كاسر حين يحيق الخطر بأسرته ..

إلا أن كل هذا النباح لم يؤثر فى الضابط .

- لقد قلت لك ما هو قانونى .. وما هو صواب .. وعنى كل حال فإن أول نشاط منقوم به هو استجواب صديقك هذا .. ! فهو آخر من رآها وآخر من خرج معها .. ! وصل ( هارى ) لذروة فقدان الأعصاب :

- هل تمزح .. ؟ .. أقول لك إنه كان معى .. !

وتساعد الحوار إلى درجة الغليان حتى بدا لى أن أحدهما سيقتل الآخر .. لهذا بادرت إلى الإمساك بذراع ( هارى ) .. ووجهت عبارات شكر مقتضية إلى الضابط ثم سحبتة - ( هارى ) لا الضابط - إلى الخارج وهو يرغى ويزيد ويتوعد مستعملاً كل أنواع الشتائم الأمريكية التى لم أسمعها فى حياتى بعد ..

لهذا عدنا إلى الفندق وجلسنا فى غرفتى نتشاور حول الحل الأمثل لهذا المأزق .. وكان ( هارى ) يؤمن أن الوقت ليس فى صالحنا .. لماذا ؟ ..

- لأن العرافة قالت لك إن أجنبيين سيموتان ميتة الكلاب .. ومن الواضح الآن أتنى أنا وأنت نسنا هذين الأجنبيين .. ؟

ثم إنها قالت إن هذا يحدث بعد اثنين .. لو كان معنى هذا يومين فإن آخر فرصة لإتقاذ ( لندا ) و ( جيمى ) هى منتصف الليلة .. !

- لقد اختصتنا أنا وأنت بشرف الدفن حينئذ ..

- إنن سنهلك جميعاً .. ! .. هما يموتان كالكلاب وأنا وأنت تُدفن ..

هزئت رأسى فى استخفاف وقلت له ترجمة - عفو الخاطر - للحديث الشريف: كذب المنجمون ولو صدقوا .. قال وهو يذرع الغرفة كأسد سجين :

- على كل حال قد لاتكون العرافة ( تنجم ) .. بمعنى أنها قد تكون على علم بنوايا هؤلاء القوم من ثم جعلت إنذارها لنا فى صورة نبوءة ..

وهذا الاحتمال يجعل كلامها - برغم غموضه - جنيزاً بالتفكير ..

ثم التفت لى فى تصميم :

- على كل حال أعتقد أن مفتاح السر عندها .. ولابد من زيارتها الآن ..  
- هذا هو رأى برغم نفورى الشديد من تكرار التجربة .. و ..

وهنا سمعنا صوتا خلف الباب ولمحت شيئاً كالخطاب يزلق من تحته صوت خطوات مسرعة تبعد ... جريت للباب كالمندوغ برغم علمى أن هذه الحركات المينودرامية قلما تفلح ... فالقصة داتماً هى أنك لن تجد أحداً خلف الباب وسينظر لك موظف الاستقبال فى بلاهة إذا ما سأنته عما إذا كان شخص مريب قد مز به .. وهذا هو - بالتضبظ - ما حدث ..

لهذا عبت للحجرة فوجدت ( هارى ) ممسكاً بالخطاب وقد بدا الوجوم على وجهه ... ثم إنه تناولنى الورقة فوجدت عليها نقوشاً غريبة رديئة ... وكانت أطرافها محترقة - على سبيل الزخرفة - وثمة رسوم بدائية لهياكل عظمية ثم رسالة بخط إنجليزى كبير الأحرف :

- الكاميرا والجهاز عند شجرة الشياطين ساعة الغروب ...

قلبت الورقة بين أصابعى ثم قلت لـ ( هارى ) :

- هكذا فقط ؟ .. بلا أى نوع من التهديد ؟  
قال فى وجوم :

- إنه نوع من البلاغة الأنبية .. الإيجاز وعدم ذكر الحقائق المفهومة ..

فهو يعرف أننا نعرف أنه سيقايض على ( لتدا ) والطفل ... وهو يعرف أننا ننتظر طلب فدية من نوع ما لهذا يوفر الحبر والورق ..

- لكن من أدرانا أنه هو المختطف ؟

- ومن سواه يملك إجبارنا على أى شىء ؟

تأملت الورقة برهة .. ثم قلت :

- على العموم كاتب هذه السطور إما شديد الغباء وإما شديد التخلف ..

- ولم ؟

- لاحظ أنه يريد الكاميرا والجهاز - طبغاً يعنى جهاز التسجيل - والأصح أن يطلب ( الفيلم ) و ( بكرة الشريط ) ... هذا هو مايناسبه فعلاً .. إذ كيف يعرف أن الفيلم الموجود بالكاميرا هو المطلوب ؟ .. وكيف يعرف أن شريط التسجيل هو الذى سجلناه بالأمس ؟ ... كأنه لا يريد سوى الكاميرا وجهاز التسجيل لأنهما غالباً الثمن .. وبالتالي فهو لص عادى جداً ..

- مثل موظف الاستقبال... أو (جابريل) خادم الغرف ..  
 - ... أو ( أنجليكا ) بانعة الزهور العجوز التي نولا  
 مشورتها ماتورطنا في حكاية البارحة ..  
 - إن الثلاثة يثيرون الشك بنفس القدر في الواقع ..  
 - على كل حال أعتقد أن لدينا حقيقة واحدة مؤكدة ألا  
 وهي أن هناك شيئاً هاماً جداً في الصور وشريط التسجيل  
 بهم السحرة ألا يعرف به أحد ..؛ لذا ستكون خطوتنا الأولى  
 هي تحميم الفيلم وطبعه ثم الذهاب إلى أم ( جابريل )  
 لتقصر لنا ما هناك ..  
 - وهل تثق بهذه العجوز ؟ .. إن ابنها مشكوك فيه ..  
 - لا أعرف ساحراً آخر في هذه الجزيرة للأسف .. فهل  
 تعرف أنت ؟ !

★ ★ ★

وهكذا - اختصر القول - ذهبنا إلى الأم ( مارشا ) ولكن  
 دون معونة ( جابريل ) هذه المرة .. وكنا نحمل معنا  
 حقيبة كبيرة ..

فتحت لنا الباب وهي تضع في فمها ذلك السيجار الضخم  
 الذي يجعلها تشبه رجل أعمال محتكاً في عمله .. وما إن  
 رأيتي حتى بدا لي أنها تعرف ما هناك .. أشارت لنا

- اللصوص العاديون لا يظالبون بالمسروقات  
 مستعملين أوراقاً عليها رموز سحرية .. لقد أساء التعبير  
 فقط ، لكن كلينا يعرف مايعنيه .. وواضح أنه لم يعتد  
 الكتابة بالإنجليزية ..  
 قلت وأنا أهرش رأسي :

- ومتى رأى هؤلاء الأوغاد أنك تحمل كاميرا وجهاز  
 تسجيل ؟ .. لقد هربت أنت قبل أن يروني إلى العربية ..  
 وبالتالي يستحيل أن يكونوا علموا بما تحمله ... كيف  
 يطلبون مايجهلون وجوده أصلاً .. ؟ !  
 قال في غيظ :

- أنا لا أعرف إجابات أسئلتك السخيفة ... لكنني أعرف  
 أن هؤلاء السحرة يمكنهم معرفة الكثير من الأشياء ...  
 وعلى فكرة .. دع تفكيرك البوليسي جانباً لو كنت تظن أن  
 كل هذه مؤامرة معقدة دبرتها أنا للتخلص من زوجتي  
 وكادت تلجج لولا هذا السهو الصغير .. !!  
 صحت في صنيق :

- أقسم إنني لم أفكر في ذلك لحظة .. أردت أن أقول  
 إنهم حتماً يملكون جاسوساً رآك وأنت خارج بالكاميرا  
 وجهاز التسجيل أو رآك وأنت عائدتيهما ..  
 ضيق عينيه في حذر .. وعدم :

في فتور كي نخل وراها .. وعلى مقعدها المفضل جلست  
تواصل ماكانت تعمله .. قلادة بشعة الشكل يبدو أنها تحوى  
تعويذة ما ..

انحيت في رقة وقلت بفرنسية حاولت أن تكون راقية :

- تهارك سعيد أيتها السيدة الحسنة .. !

قالت في فتور وهي تشير لنا كي نجلس :

- اجلس أيها المخاتل وقل لي ما وراءك !

جلسنا .. وشرعت أحكي لها حكايتنا المروعة منذ كنت

عندها حتى خطف ( لندا ) بواسطة سحرة ( القودو ) ..

وهي تومئ برأسها ولاتنظر لى أو لـ ( هارى ) على

الإطلاق .. فلما أن انتهت قصتى .. مددت يدي لها بالدمية

التي انتزعتها من أيدي السحرة في تلك الليلة .. تناولتها

منى وأخذت ثقلها في يدها بعين خبيرة وقد ارتسمت على

شفتيها - صدق أو لا تصدق - ابتسامة حنين رقيقة ..! ..

ثم قالت معجبة :

- إنها جيدة الصنع .. كنت أهوى العمل بها في

شبابي .. ! .. ( فتيش ) مُنقن جدًا .. ! .. ولقد أحسنت

صنعاً حين أخذته منهم ..

ثم ناولته لى وهمست :

- خذ الحذر في التعامل معه .. فكل ما سيحدث له

سيحدث لها .. تخيل مثلاً أن فأراً قرص منه قطعة أو أن  
رماد سيجارة ملتهباً سقط فوقه ! ..

ارتجفت في هلع وقد أحسست بالقتل شديدة تزحف فوق

عمودى الفخرى .. وتوتر ( هارى ) حيث جلس .. قالت

في بساطة :

- والآن .. أرني هذه الصور ..

ناولتها الصور الفوتوغرافية الملونة التي التقطها

( هارى ) من مخبئنا خلف الشجرة في تلك الليلة .. وكانت

موفقة جداً ..

لم تأت بأية علامة تدل على الاهتمام .. من ثم بدأت

تشغيل جهاز التسجيل لتسمع الأغاني التي كانت على شفاه

السحرة .. والكلمات التي كانت المرأة تلقنها للزنجي .. ثم

صوت الجمع يردد : ( كوديك ) .. ( كوديك ) ..

- هذه الكلمة .. مامعناها ؟

- معناها : إلى الشيطان .. وهي جزء من طقوس

حرق الفتيش ..

ولكن .. أتصت ..

صوت الصراخ يتعالى .. وصوتى وأنا أصرخ في

( هارى ) إننا يجب أن نسترد الدمية .. وتساؤله عن  
السبب .. ثم صوت طلقتي رصاص .. و .. ( كليك ) !

.. (أغلق ( هارى ) جهاز الكاسيت لحظتها حين دخل  
السيارة .. ) ..

وساد انصمت سوى من صوت دوران الشريط ..

- والآن ما رأيك ؟

قالت الأم ( مارشا ) وهى تبسم ابتسامة مريعة :

- رأى أن هذه الطقوس مزيفة .. كلها مزيفة ! ..

هؤلاء القوم ( يمثلون ) طقوس ( الزومبي ) لكنهم  
لا يمارسونها حقاً ... إنهم يعرفون كيف يبدو الأمر كله  
لكنهم يجهلون تفاصيله ..

وأمام عيني الذاهلتين - أنا و ( هارى ) - أشارت إلى  
إحدى الصور وقالت :

- مثلاً .. لف الأفعى حول العنق يتم قبل شرب الندماء

وليس بعدها ... ثم إن دهان الوجه بالأخضر مجرد حيلة

للتأثير الترامى ولا أساس لها ... دعك من أن ترتيب

الأغاني والكلمات، التى تلقنها له كلها خطأ ... وكلمة

( كوديك ) لاتقال إلا بعد الفداء الأعظم .. و ..

إنها عبقرية بالفعل .. ! .. ولو أنني كنت أجد الطيب

إجادتها للسحر لصرت ( أبو قراط ) عصرى .. لكنها كانت

غاضبة كبركان :

- يا للعار .. ! .. يا للعار .. ! .. إنهم نوصمة فى

جبين ( الفودو ) .. ! ..



لم تأت بأية علامة تدل على الاهتمام ... من ثم بدأت تشغيل جهاز  
" جيل لسمع الأغاني التى كانت على شفاة السحرة ..

هكذا شرعت تدعم في حصرة .. وتعمل :

- هيه ! .. لم يعد هناك ضمير في هذا العالم .. !، حتى  
( القودو ) صار مغشوشا .. كح كح ! .. اللعنة .. ! ..  
قال ( هاري ) في حيرة :  
- ونكتك أبدت إعجابك بالدمية ..

قالت في ازراء وهي تمسح فمها بظهر يدها :

- هذا نوع سهل من السحر يعارسه حتى الأهالي  
العابيين ... أما ( الزومبي ) فيحتاج إلى عبقرية .. وإلى  
تمكن غير عادي ... وقد انقرض جبل الأساتذة هذا منذ  
زمن .. ربما أنا آخر صانعة ( زومبي ) في هذا البلد ..  
فكرت برهة .. ثم سألتها في حذر :

- هل سبق لك أن رأيت ( دالماس ) ( الزومبي ) الذي  
قابلتك من أجله أول مرة ؟

- بالطبع لا .. أنا أعرف ( دالماس ) حين كان بشريا  
لكنني لم أراه أبدا وهو ( زومبي ) .. إن صحتي لا تسمح لي  
بالخروج لئلا أيها الأجنبي ..  
- لكنك تحدثت عنه في ثقة ..

- إن ابني ( جابرييل ) هو عيني التي تحكي لي كل  
شيء .. وهو يعرف ( الزومبي ) جيدا ..  
مددت يدي في مظروف الصور وأخرجت منه ثلاث

صور لم تراها هي بعد .. صور ( الزومبي ) في المقهى  
التي انتقلتها ( هاري ) خلصة وكانت سببا في تحرش  
( دالماس ) بنا .. وسألتها في حذر :

- هل هذا هو ( دالماس ) .. ؟ !

نظرت اساحرة إلى الصور في تدقيق .. وغمغت  
- ولكن .. لا .. أعتقد أن ..

ثم مدت يدها بعصية إلى كيسها الخيشي وأخرجت  
نظارة سمكة إطارها مكسور ووضعتها على أنفها فبدت  
كبومة عجوز .. وشرعت تتأمل الصور ثم هتفت :  
- لكن هذا ليس ( زومبي ) .. إنهم لا يبدون هكذا ..  
يا نلغباء .. !

ثم خلعت النظارة وأعدت لي الصور :

- ليس هناك شك في ذلك ..

- في ماذا ؟

- هذا الرجل مصاب بالجذام ..

★ ★ ★



لم أستطع إخفاء بسمة النصر التي ارتسمت على  
شفتي .. وقلت للساحرة :

- إن لا وجود لـ ( الزومبي ) ؟ ..

- كلا .. ( الزومبي ) حقيقة .. لكن ليسوا من هؤلاء  
المذعنين ...، واضح أن هناك من حاول خداع هؤلاء  
الحملى .. ونجح ..

- ثم وضعت يدها على رأسها كأنها تشعر بدوار  
وأردفت :

- ان إبتعادى عن ( النشاط ) فترة طويلة قد أدى إلى  
تدهور المهنة .. ويبدو أنني قد غدوت عجوزًا مخبولة  
سهلة الخداع ..

قلت لـ ( هارى ) من وراء كفتى :

- هل عندك أسئلة للمدام يا ( هارى ) قبل أن ننصرف ؟  
رفع ( هارى ) رأسه كمن أخرج من غيبوبة عميقة ..

وقال :

- هه ؟ .. نعم .. سؤال أخير .. كيف تأتى أن تخرج

زوجتى مع ( رفعت ) فى حين أن ( رفعت ) لم يفارقنى  
ساعتها .. ؟

قالت الأم ( مارشا ) فى استخفاف :

- إنها حيلة سحرية بسيطة .. لقد فقد صديقك  
نظارته .. ومن السهل صنع ( جبلة ) ( \* ) خارجية تشابه  
صديقك وتؤدى دوره بمجرد الحصول على شيء من  
ثيابه .. كالنظارة مثلًا التي لامست وجهه سنوات طويلة ..  
ثم قالت مستدركة :

- لكن هذا لايفى بالطبع أنهم صنعوا قناعًا من  
( اللاتكس ) يشبه صديقك - أو شيئًا من هذا القبيل - وارتداه  
أحدهم ليخدع زوجتك ...، لكنى أمتبعد هذا لأنه ليس لديهم  
صور واضحة لصديقك .. ولم يكن عندهم وقت كاف لصنع  
واحد ...، ثم إنهم لا يستطيعون تقليد صوته وحركاته إلى  
الحد الذى يخدع زوجتك خاصة وهي تعرفه جيدًا ..  
قلت فى شرود :

- هذا بالطبع إذا لم يكن موظف الاستقبال بالفندق  
كاذبًا ..

ثم استدرت للعجوز وأحيت رأسى فى أدب قائلاً :

- لقد كانت فرصة رائعة لنا أيتها السيدة الحسنة ..

( \* ) الجبلة الخارجية أو الاكثويلازم فى زعم الروحانيين هي تلك  
الجزء من الروح الذى يمكنه إتخاذ شكل مادي ملموس يتخذ شكل  
بلورات أو شكل صاحب الروح ؛ ولا تنسى هنا أن تذكر قوله تعالى  
، ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي .

احمرَ وجهها فتبلا مما جعلتى أذهل .. المرأة هي  
 المرأة .. يسحرها الإطراء حتى ولو كانت عجوزاً  
 شمطاء .. وساحرة ( فودو ) .. ! لكن هناك نقطة أخيرة  
 يجب استيضاحها قبل أن تفارق هذه الموسوعة الحية :  
 - هل امتلاكهم لنظارتى يتيح لهم عمل فتيش لى .. ؟  
 - كلا .. لابد من جزء من جسدك كاشعر أو الأظفار ..  
 اطمئن إذن ... والآن انصرفا قبل أن ينفد صبرى ..  
 - ولن نغسرى لى نبوءة أوراق ( التاروت ) ؟  
 - لا .. ! ..

★ ★ ★

كانت الساعة الخامسة عصراً حين اتجهنا إلى شجرة  
 الشيطان .. وهى الشجرة التى كانت تتم عندها طفوس  
 البازحة ..  
 وكانت بقايا آلاف الشموع المتصهرة تملأ المكان .. مع  
 آثار عشرات الأقدام العالقة والمكسوة على التراب .. أما  
 الشجرة نفسها فكانت عدة حبال ليفية تتدلى من أغصانها  
 الحبال التى كان ضحية الأمس مقبداً بها ... وكانت هناك  
 نى محترقة حتى التفتت .. وجمجمتان انتهى ما بهما من  
 وقود قوامه شحم التخزير .. وزجاجات فارغة كثيرة  
 مبعثرة هنا وهناك ..

لقد كان حفلاً صاخباً . لكنى أصدته فى حماقة لسوء  
 حظهم ..

أخرج ( هارى ) من جعبته الكاميرا وجهاز التسجيل  
 ووضعهما تحت الشجرة ثم أشار لى كى نتراجع ..  
 وسرنا ببطم إلى السيارة وركبناها وأدنا المحرك ..  
 وابتعدنا بها مسافة مئة متر حيث أخفيناها بين الأشجار  
 وعدنا راجلين لنختفى بين النباتات مترقبين ما يحدث ..  
 - أرجو ألا يفكروا فى التأكد من محتوى شريط  
 التسجيل ..

- عندئذ سننظاها بالغيام .. لقد نفذنا حرفياً ما طلبته  
 الرسالة .. الكاميرا وجهاز التسجيل ، ولم تشرط الرسالة  
 وجود الفيلم أو شريط التسجيل .. وعلى كل حال فالغروب  
 دأن وسنعرف كل شيء بعد قليل ..  
 ومضت ساعة أو أكثر ..

لاصوت هنالك سوى صوت أنفاسنا اللاهثة فى هذا القبيظ  
 وجو الخمول الرطب .. العرق يكسو صدرينا ويتجمع أسفل  
 إبطينا .. والبعوض الشرير ينز من حولنا فى جشع ..  
 الأشياء تبرد ببطم شديد ..  
 الموجودات تتلون تدريجياً باللون الأرجوانى فى  
 طريقها للأزرق .. والشمس تنحدر ببطم نحو الغرب ..

ملحمة الغروب الأخيرة تقترب من النهاية ..  
والآن أرى و ( هارى ) رجلين يقتربان بخطوات  
متعثرة من مسرح الأحداث حيث شجرة الشيطان ... وفي  
ثقة العازفين يتقدمان نحو الكاميرا وجهاز التسجيل ..  
أحدهما طويل القامة والآخر أقرب للقصر ..  
وحبسنا أنفاسنا فى ترقب ..

كانت ملامح الرجلين تدل على أنهما من ( الزومبي ) ...  
وكانت الأطراف المتسلخة والعيون الملتهبة الدامية تفتش  
عن أشياء أخرى متروكة هناك ... ثم إن أطولهما مذ  
إصبعه العظمى إلى زر إعادة شريط الكاسيت - ببراعة  
وحكمة - وضغط على زر الاستماع .. بالطبع لاشيء ..  
لا صوت ..

أما زميله فقد تفقد عداد الكاميرا - بنفس الاحتراف  
والتمكن - ثم فتح ظهرها ليجد أن الفيلم غير موجود  
طبعاً ..

لقد انكشفت الخطة وأدركا أننا نتحايل عليهما ..  
وهما - حتماً - سيحاولان الهرب لإخبار من أرسلهما أن  
فى الأمر خديعة ما .. يجب ألا يهربا .. يجب ..

تحفزت للقفز عليهما أنا و ( هارى ) لإرغامهما على  
الكلام إن كان لهما لسان .. إلا أنهما لم يستديرا .. ولم  
يهربا ..

فقط أشارا إشارة ما قلمحت عدداً هائلاً - يقارب  
العشرين - من هؤلاء الممسوخين يظهرن فجأة ..  
وينتشرن متجهين إلى الأشجار ..  
لقد فهمت ! .. إنهم أنكباء إلى حد لم نتوقعه ... لقد  
أدركوا أننا رمينا لهم بطعم لاقيمة له .. ومادام هناك طعم  
فالصياد مختبئ فى مكان قريب ينتظر ..  
والآن هم يبحثون - كالمحمومين - عن هذا  
الصياد .. !

★ ★ ★

صرخ ( هارى ) فى رعب :  
- فلتهرب يا ( رفعت ) ! ..

نعم .. لقد فشلنا خطتنا التى رسمناها كى نتبع هؤلاء  
الذين سيأتون لأخذ الكاميرا وجهاز التسجيل ، ولو كنا أكثر  
نكاء لوضعنا فيهما الشريط والفيلم كى توفر على نفسيينا  
هذا الموقف .. لكننا لم نرد أن نعرض هذين الدليلين  
الهامين لخطر الضياع أو التلف .. ثم إننا تصورنا أن  
خاطفى ( لندا ) سيرسلون لنا بعض ( الزومبي ) الذين  
لا يفقهون شيئاً ولا يميزون الكاميرا الخاوية من المعياة  
ولا يعرفون كيف يديرون شريط تسجيل !  
إن ( الزومبي ) قد تقدموا كثيراً فى هذه الأيام !

والآن تعال واجر معي .. إذا شئت أن تنتظر فهذا شأنك  
لكني لا أضمن النتائج .. ! ..

تأمل وجوههم المتعقنة الرمادية وعيونهم الملتهبة  
وأيديهم التي تساقطت أكثر أصابعها .. واتخذ قرارك  
سريعا .. هل تبقى ؟ .. لا .. ؟ .. إن هلم واجر معي ..  
اجر بين الأشجار نحو السيارة ..

إنتى لا أرى ( هاري ) .. لقد انفصل عني .. هذا حسن ؛  
لأنه ؛ سيشت بحثهم نوعا .. ثلاثة منهم يقربون وأيديهم  
ممدودة أمامهم تبغى الإمساك بأى جزء منك ..  
لاتترخ .. ! .. أفقر هذه الحفرة معي ..

إنهم مجرد مرضى .. أنا واثق من أنهم مرضى .. ولكن  
لماذا يتصرفون بهذه الطريقة المرعبة ؟ .. لماذا يريدون  
رأسينا بهذا الإصرار .. ؟ .. من الصعب أن أصدق أنهم  
حقا ليسوا موتى أحياء ..

هل أخبرك بسر ؟ .. لقد تكاثف العرق المالح فوق  
أهداب عيني .. ولم تعد رفتاي قادرتين على جذب المزيد  
من الأكسجين لقلبي .. الأثم يغزو عظمة القصر .. إنها  
بدايات الذبحة الصدرية ... لكن لا وقت لذلك .. لن أهتم ..  
وإذا ما مِتْ سأكون قد نجوت - بشكل ما - من كل هذا  
الرعب ..

والآن تعال واجر معي .. إذا شئت أن تنتظر فهذا شأنك لكني  
لا أضمن النتائج ... ! ..

اثنان بيرزان من وراء الشجرة .. كنا ينتظرنا ..  
تراجعت بسرعة وقد فتحت فمى أعب به جرعات هائلة  
من الهواء .. ولكن .. هذان اثنان آخران .. لابد أن ستة  
منهم يتبعوننى الآن .. لا أريد أن أتلفت للوراء لكنى واثق  
أنهم خلفى .. وواثق أنهم على بعد متر فحسب منى .. أكاد  
أشعر بأناملهم المبتورة تلمس عنقى ..  
ولكن .. أين أنت يا ( هارى ) ؟ .. أنا بحاجة إليك ..  
إتهم ..

من وضع هذا الستار الأصفر أمام عيني ؟ .. لماذا  
يلاحقنى فى كل مكان ؟  
هناك واحد آخر هناك .. العرقى .. قلبى .. الغشاوة ..  
و ... و ...

\* \* \*

ها هو ذا ضيفنا الشجاع قد استرد عافيته ..  
أنا ممدد فى سرير نظيف راحة ملاءته زكية .. وثمة  
غرفة مريحة تدخلها الشمس ... كأنه مستشفى .. نعم ..  
هو كذلك .. اللون الأبيض فى كل مكان ، وزجاجات دواء  
كثيرة جوار فراشى ... وثمة رجل وسيم وامرأة حسنة  
يرتدى كلاهما الأبيض يقفان ويرمقانى فى مودة ..  
قال الرجل بفرنسية متقلنة لا تخرج إلا من فم فرنسى :  
- أعتقد يا د. ( رفعت ) أن شرابيناك التاجية ليست على  
مايرام .. إنه التسخين أياها الزميل .. التسخين ..

ثم إنه أخرج سيجارة من علبة أتيقة وأشعلها .. ! ..  
ثم أردف :

- أقدم لك نفسى .. د. ( رينيه دلمار ) .. فرنسى ..  
وحيالاً أنا مدير مستعمرة ( سان فرناند ) للجذام ... وأنت  
ضيفنا اليوم فى هذه المستعمرة المتواضعة ..  
همست فى تعب محاولاً أن يخرج كلامى ذا معنى :

- .. ( وهارى ) .. ؟ ..

- إنه فى القرفة المجاورة ... والسيدة الأمريكية  
والطفل الطريف .. كلهم هنا .. ضيوف فى بيتى حتى ..  
وتبادل ابتسامة لطيفة مع الممرضة ... إن مغزى  
الابتسامة لا يخفى على أحد .. لكنه طريف جداً هذا  
الوعد .. طريف وودود حتى لأكاد أقول إنه حنون ... ! ..  
قال وهو يصلح وضع الملاءة فوقى :

- أنت بالطبع تعرف كل شيء فلا داعى للمزيد من  
الإيضاحات .. لقد حصلنا على الشريط والفيلم اللذين  
أخفيتهما فى غرفة الفندق ... والواقع أننا بالغنا فى  
أهمية متعرفان لأنه واضح تماماً - مما وجدناه - أنكما  
لم تفهما سوى أقل التقليل ..

- إذن لم كل هذا العناء .. ؟ ؟ ..

وضع يده على كتف الممرضة وابتسم :

- أولا لا أحب كثيرا أن يرى الصور كل من هب ودب  
 ليقول إن هذه صور مجنومين ... ثانيا لربما وقعت الصور  
 في يد من يعرف كاهنة ( الفودو ) ويلاحظ التشابه الشديد  
 بينها وبين ( مارلين ) الممرضة في مستشفى !  
 يا لغبائي .. ! .. كيف لم ألحظ هذا الفك المربع القاسى  
 الذى كدت أحطمه بقبضتى فى تلك الليلة ؟ ! .. وعلى  
 العموم أنا مدين لها باعتذار :

- أرجو معذرتك يا أنسة .. لست ممن ...  
 قالت فى رقة وهى تتحسب ذنبا ..  
 - يضربون امرأة ؟ ! .. لا عليك يا عزيزى .. لقد كان  
 الموقف يستحق ذلك ... والواقع أنك لو لم تفعل لضاعت  
 زوجة صديقك إلى الأبد .. !  
 بنت الدهشة على وجهى .. هل هذه المرأة ساحرة حقا  
 أم مجرد ممثلة ؟ ..

وكيف استطاعت طيبة هذه الأعوام أن تخدع كل هؤلاء  
 الوطنيين الذين يفهمون ( الفودو ) و ( يتقنونها )  
 ولا يمكن أن يتلاعب بهم ساحر مزيف مثلها ؟ ..  
 وكأنا سمع الطبيب الفرنسى صدى مادار فى  
 خاطرى .. قال :

- لاتدهش .. إن ( مارلين ) ساحرة ( فودو ) قديرة  
 وقديمة .. لكن ليس إلى درجة صنع ( الزومبى ) بالطبع ...

وقد تمكنت - بعد جهد - أن تصبح ( الأم الكبرى ) لسحرة  
 هذه الجزيرة .. وصارت تقيم حفلاتها الخاصة .. لكنها  
 اضطرت لهذه التمثيلية للحفاظ على نفوذها ؛ لأن  
 ( الأم الكبرى ) يجب أن تجيد فن ( الزومبى ) ..  
 قلت مفكرا :

- وبالطبع لا تريد أن تقع الصور والشريط فى أيدي  
 خبراء يعرفون أن الأمر كله بلا جدوى ..  
 - هذا طبيعى ..  
 - ولكن ما نفع كل هذا ؟ .. لماذا لاتحاولان إقناع الناس  
 أن ( الزومبى ) حقيقة .. ؟  
 - هو ذا بيت القصيد ..  
 قالها وهو يقذف سيجارته من النافذة .. وأردف :

- وهذا هو ما ستموتان - أو إذا شئنا الدقة - ستموتون  
 قبل أن تعرفوه !  
 ثم نظر لى .. وقال بنفس الرقة والتهذيب :

- بعد ساعتين - ربما ثلاثة - ستدفنان حينئذ .. !

★ ★ ★

سرنا أنا و ( هارى ) مقيدى الأيدى بالحبال  
و ( الزومبى ) - أعنى المجدومين - يحيطون بنا حاملين  
خناجر طويلة غريبة الشكل ..

إن ( الغيلا ) التى يقيم بها د. ( دالمار ) تشابه قلعة  
جصينة مدهونة بلون أبيض أتيق ، وأشجار اللبلاب  
ونباتات متسلقة أخرى تحيط بها مما يعطيك انطباعاً بأن  
القلعة تحاول الفرار من برائن النباتات المطبقة عليها ..  
وفى الحديقة - حيث تنتشر الوجوه البشعة النخرة  
ترمك بنظرات خرماء - تنتشر نباتات استوائية  
غير معروفة .. وثمة نافورة .. وأفصاص عدة بها ببغاوات  
لطيفة الشكل ترمقنا فى لا مبالاة ..

كنا سائرين إلى حقلنا ولا نملك سوى السير ..  
وكان د. ( دالمار ) يتقدم مسيرتنا فى حماس مهذب  
كأنه يرينا الطريق إلى غرفة الطعام فى بيته ..  
- هلموا يا سادة .. ا .. من هنا .. من فضلكم ..  
أسرعاً ! ..

قلت له وأنا أسير بين أحواض النباتات وأتأمل الوجوه :  
- قل لى يا د. ( دالمار ) ... :

- أى شىء أيها التزميل المحترم .. ؟

- يبدو لى أن عقار ( ١٩٠٦ ) لا يعمل بكفاءة  
عندك .. ؟ (\*)

قال وهو يضحك فى مرح :

- آه ! .. فهمت ! .. الواقع أيها التزميل أن هؤلاء  
البؤساء لا يتلقون أى نوع من العلاج ولا رعاية  
التفرحات .. وهو (همال متعمد بالطبع لأنهم يجب أن  
يبنوا مرعبين بشعين حقاً ..  
- لكن هناك إضافات أخرى طبعا ..

- طبعا .. إننا نطنى جلودهم بلون رمادى بشع ..  
ونضيف بعض لمسات الماكياج .. وهكذا .. حسب  
مايتراءى لـ ( مارلين ) ..

وأخرج سيجارة نسها فى فمى وأخرى فى فم ( هارى )  
وأشعلهما فى احترام حقيقى .. ياله من وغد .. !  
قال ( هارى ) مثلثاً بدلوه :

- وماذا عن موضوع الخروج من القبر .. والحفل ..  
و ... و ... ؟

(\*) كان العقار ( ١٩٠٦ ) يستخدم فى علاج الجذام فى ذلك  
الوقت ، وقد صار الجذام اليوم مرضاً قابلاً للشفاء التام بعد اكتشاف  
اللامبرين والدايزون والريفامبيسين .

قال د. ( دالمار ) ..

- فلنتلق على شيء .. أنا لا أومن بوجود (الزومبي) ...  
لكن معتقدات أهالي الجزيرة فرضت على أن أنفذ التمثيلية  
كاملة ..

في البدء يكون هناك رجل مجذوب أو مخبول يتمنى  
التحول إلى ( زومبي ) ..

يقدم نفسه لتربطه الأم الكبرى ( مارلين ) في شجرة  
الشيطان ... ويبدأ الحفل بكل طقوسه التي شاهدتها ..  
ثم يموت الرجل في نهاية الحفل ..

قلت في امتعاض .

- يقتلونه إذن ؟

هز رأسه وابتسم :

- أنا استعملت تعبيراً أكثر لياقة من تعبيرك ... على  
العموم بصرف النظر عن أي شيء فهو يموت في نهاية  
الحفل .. عندئذ أختار أنا مجذوماً يشابهه إلى حد ما من  
جيش المجذومين الذي أمكنه ..

- وهل هم كثيرون ؟

- حوالى ستمائة .. ١ ... يتم اختيار شبيه له في الطول  
والحجم - على الأقل - وأصنع له الماكياج المناسب ...  
ثم يظهر في المدينة أو في القرية التي جاء منها الشاب

الذي مات .. ويمارس عاداته ، عندئذ يعرف الناس أن  
صاحبهم أصبح ( زومبي ) .. ويتحاشونه ... قد يفكر  
أحدهم في زيارة قبره .. عندئذ ماذا يرى .. ؟  
قلت في ضيق :

- يجد القبر منيوشاً ولا أحد فيه لأنكم نقتم الجثة لمكان  
أخر .. !

- بالضبط .. إن الناس سهلوا الخداع ... وهو لا يرون  
إلا ما يريدون أن يروه ... وحين تحيط المعتقدات الخرافية  
بشيء ما عندئذ يصير البحث عن الحقيقة شبه مستحيل ..  
قلت له وأنا أوافق بشدة على عبارته الأخيرة :

- وهكذا تصير مستعمرة الجذام ومايحيطها منطقة  
محرمة على الأهالي جميعاً .. حزاماً من ( التايو ) ..

- إنهم يعرفون بالطبع أن هناك مستعمرة جذام ..  
ويظنون كذلك أن الأرض المجاورة لها تعج بالموتى  
الأحياء ، لهذا ينفرون .. ينفرون من الجذام وينفرون من  
( الزومبي ) ..

- وهل حقاً لا يوجد أي نوع من الرقابة عليك ؟

ضحك حتى سمعت عيناه ... ثم قال :

- رقابة ؟ .. بالطبع لا .. إنهم تركوا لي هذه  
المستعمرة وقالوا لي : عالجهم فهم أمانة في عنقك ! ..



وتركونى ألهو كما أشاء .. أنا الأمر الناهى هنا ...  
ثم بصق على الأرض بشكل ينافى أذبه الواضح وقال  
بحزن :

- إتهم مهملون ولا خلاق لهم ! .. وإذا أنا أسأت  
استخدام سلطتى مع هؤلاء التعساء فهى غلطتهم وليست  
غلطتى .. ! .. حتى البوليس يخشى زيارة هذه  
المنطقة .. فى الإهمال ! .. وبإلموات التضامن !

ثم هتف فى سرور وقد عاد للواقع :  
- لقد وصلنا .. !

نعم وصلنا .. وصلنا إلى بقعة عارية من الأشجار مغطاة  
بالغبار .. الغبار الأحمر بلون الدم ... ولم تكن ثمة بقعة  
ظل واحدة ... وأشار د. ( نلمار ) إلى رجلين مشوهين  
فبارا يحملان رفشين ويبدآن فى الحفر .. حفر قبرين لى  
و ن ( هارى ) .. !

همس ( هارى ) بصوت لم يتعمد إخفائه :  
- وزوجتى .. و .. وابنى .. ؟

قال ( نلمار ) وهو يغمض عينيه ليحميها من الغبار :  
- لا عليك .. سيموتان ميتة الكلاب !

ضغطت على أسنانى .. وقلت وأنا أشعر بغيظ حقيقى :  
- ألاحظ أنك تردد بالحرف الواحد ماقالته تلك الساحرة  
العجوز لى فى أوراق ( التاروت ) ... لا اعتقد أن تبوءتها  
كانت صداقة لهذا الحد ..

هتف فى استنكار :

- بالطبع لا .. ! .. إن ( جابرييل ) ابنها يعمل معى  
وهو الذى نقل لى نبوءتها التى ألهمتى أفكارا جديدة ..  
لماذا لا أدفنتكما حين - على سبيل الدعاية - وأقتلها  
بالسم كالكلاب ؟ ..

صاح ( هارى ) :

- النبوءة قالت : سيقضى التراب الأحمر عينيه .. ، ..  
هل تفهم معنى هذا ؟! ..  
- فى الواقع لا ..  
- معناه هذا .. !

وفى ثوان رفس ( هارى ) الأرض بقدمه فتطاير الغبار  
فى عينى الفرتمسى الحماسيين .. ثم وجه ( هارى ) ركلة  
فى مفصل رجله ... وقبل أن أفهم أنا ما حدث بالضبط كان  
الفرنسى ممدا على الأرض وعنقه بين فخذى ( هارى )  
الذى أخذ يضغط عليه فى غل .. ويطبق على أسنانه كأما  
مايين فخذه صخرة يحاول تهشيمها ..

رائع يا ( هارى ) ! .. هكذا يجب أن يكون الدفاع عن  
عائلتك .. ولكم أحب الرجل الذى يوجه للركلات مقيد اليدين  
من أجل أسرته ! .. من حسن الحظ أنك ترتدى بتلون  
( جينز ) قوى الألياف ولا لتمزق إربا من جراء حركتك  
العنيفة ... وهأنذا تقول له فى قسوة :

- والآن مُر رجالك أن يفكوا قيد صديقي ..!

- بالطبع لا ..!

قالها د. (نمار) بصوت مبحوح وقد احتقن وجهه  
وبرز لسانه ..

- .. إن .. ر .. رجالي سيمزقون صاحبك إربًا لو ..  
لو لم تطلق سراحى ..

كان يحاول بيدين مرتجفتين فتح الشرك الذى أطبق على  
عنقه ..

وفى هدوء اقترب منى أحد الرجال .. ومد يده بالخنجر  
إلى عنقى ..

نظرت الخرساء المجردة من أى معنى تدل على أنه لن  
يجد أية صعوبة فى تحويلى إلى شرائح .. لن يؤتبه ضميره  
أبداً ..

إن هذا الرجل واقع تحت تأثير مخدر قوى وأقسم على  
هذا ..، إن عينه الوحيدة التائهة وذموله المحير يدلان  
على ذلك ، لهذا ينفنون أوامره مهما كانت .. ولهذا  
لا يفهمون حقيقة أنهم قد تدهوروا بسببه ، هو الذى كان  
ينبغى أن يحافظ عليهم .. ولهذا يبذون للناس غريبى  
الأطوار تائهين فى عالم آخر .. و .. اللعنة !..

نصل الخنجر بقطع تركيبًا تشريحياً ما فى عنقى ..  
وشراء دافى لزوج يسيل ..

- ( هارى ) .. !

- ماذا تريد ؟

- أعتقد أن هذا الرجل يذبحنى الآن ..!

- اصمد ..!

- لا أستطيع .. إننى لم أذبح قبل اليوم .. وإتيا لتجربة

مروعة .. ثم إنك لو حطمت عنق هذا الطبيب فلن ننجو ..  
سينقض علينا الباقون ويمزقوننا ..

- إننى هى مغامرة حمقاء .. ؟

- بالفعل ..

فتح فخذه ليحزر عنق الطبيب الذى كان قد ثوفى تقريباً  
ولم يعد قادراً حتى على أخذ شهيق الخلاص ..، ونهض

( هارى ) وهو مغطى بالتراب الأحمر .. ووجه ركلة إلى  
الجسد الممدد على الأرض :

- إننى فلنتهض أبها الوغد .. دعنا ننته من هذه  
المهزلة سريعاً ... إتنا لن نتنظر طيلة اليوم حتى نقتلنا ..

أنزل المجنوم نصل خنجره من عنقى ..، ووقف  
جوارى يلهث فى انفعال .. فى حين بدأ د. (نمار)

يستجمع نفسه المبعثرة على التراب الأحمر .. ، بدأ يقف  
على قدميه مترنخاً ممسكاً بعنقه .. ولون وجهه يعود

لطبيعته ..، وفى إعيا قال :

- (ميرسى) يا سيدى ! .. لقد أمتتى كثيرا ..  
- حقاً ؟ .. أرجو أن تسامحنى...!.. كنت أداعبك فقط..  
وعادا يقفان كصديقين يراقبان هذا الذى يحدث ... كان  
الرجلان قد أوشكا على الانتهاء من الحفرتين لتكونا قبرين  
جميلى الشكل ... وأشار ( دالمار ) إلى إحدى الحفرتين ..  
وقال وهو يمسح الدم من عنقى بمنديل معطر :  
- أنت أولاً ياسيدى .. كن ضيفى ..

تقدمت إلى الحفرة .. وأنديت جسدى فيها .. كانت  
ساخته مترلقة الحواف ... لكنها غير عميقة .. فقد ظل  
عنقى فوق مستواها حتى عندما بدأ الرجلان يهيلان الغبار  
على جسدى إلى أن صرت مغموراً تماماً إلى العنق ..  
رفعت رأسى متسائلاً ( لآنتى أمقت الأعمال الناقصة ) :  
- لكن هذا خطأ .. لست مدفوناً على الإطلاق ..  
قال ( دالمار ) وهو يشير لـ ( هارى ) كى يتقدم للحفرة  
الأخرى :

- إننى لا أحب الأساليب الغظة فى القتل ... الموت  
البطء يناسبكما أكثر ..

والآن تخيل نفسك فى هذا الوضع ليلاً .. إنك مالم تمت  
جوعاً ستأتى الذئاب كى تستمتع بنهش وجهك ... إن شهية  
الذئاب هنا غير عادية مما يجعل الاحتمال الثانى أكثر  
واقعية ..

- وما جدوى أساليب الموت البطيئة الخاصة بالقصص  
المصورة هذه ؟ ..

لماذا لا تطلق علينا رصاصتين تتهيان كل هذا  
الضحج ؟  
- رصاص ؟ .. لا .. لا .. لا ...

قالها وهو يشيح بوجهه اشمزازاً :  
- أنا لا أحتمل الأسلحة النارية !

... ولكن ما الذى يملعنى من قتل هذا المخبول ! ! ...  
وتذكرت لحظتها كلمات ( ديفيد لين ) ( \* ) الرائعة عن  
طريقة أداء دور الشرير فى السينما .. كان يقول إن هناك  
طريقتين .. للطريقة التقليدية التى يهدد فيها الشرير  
ضحيته وهو مقطب التوجه يرفع حاجباً واحداً ويتحدث  
بلهجة رجال العصايات .. أما الطريقة الثانية - الأكثر  
فعالية وتأثيراً - فهى أن يبدو الشرير حنوناً رقيقاً يهدد  
ضحيته وهو يداعب عصفوراً أو يعيد تنسيق باقة من  
الزهور .. عندئذ يلفت أداؤه الأنتظار ..

كم كان ( ديفيد لين ) سيعجب بالدكتور ( دالمار )  
لورا .. !

( \* ) ( ديفيد لين ) : المخرج الإنجليزى العبقري وأحد أعمدة  
هوليوود السبع .. صاحب ( نورانس العرب ) و ( د. زيفاجو )  
و ( ابنة رايان ) و ( جسر على نهر كواى ) .

إنه يحيينا كجنتلمان ويشعل لنا سيجارتين يضعهما في  
فم كل منا .. ثم يهز رأسه مشجفاً .. وينصرف .. فيناديه  
( هارى ) من مقبرته :

- اسمع أيها السفاح .. فلنعتقد اتفاقاً ..  
.. على ماذا ؟

- على أنك لن تقتل زوجتى وطفلى إلا بعد شروق  
الشمس ..

- لا بأس .. ولكن لماذا ؟

- لأننا سنخرج من هنا وتمزقك إرباً .. ومادام ذلك  
سيحدث فإنك لن تستفيد من قتلها شيئاً .. لذا إبقهما حيين  
لنا ، أما إذا هلكتا فى الليل فيمكنك أن تفعل بهما ما تشاء ..  
على الأقل ستجمع شمل العائلة فى العالم الآخر .. !  
تفكر الفرنسي هنيهة فى هذا العرض الغريب .. ثم هز  
رأسه :

- موافق .. لكنكما لن تخرجا من هنا .. إنهم دائماً  
ما يتجون من هذه المواقف فى القصص ..  
ابتسم الفرنسي فى وداعة وهو ينفذ الفيار عن  
بنطاله :

- من المؤلف يا سيدى أن هذه ليست قصة .. ! ...  
على كل حال أعدك كجنتلمان بأن أعطيك - وأعطيها -  
الفرصة ..

ثم إنه أخرج شيئاً من جيبه .. وانحنى فوقى ليلبسه  
لى .. نظارتى ! .. لقد تشرخ زجاجها فى موضعين لكنها  
كانت مفاجأة رائعة .. لقد نسيت كيف تبدو المرنيات  
واضحة نقية بالنظارة ! .. يالى من محظوظ ! ..

- لم أقصد تحطيم زجاجها .. إنها تلك المغامرة  
المينوس منها التى قام بها صديقك الأمريكى ، لكنها قد  
أدت واجبها .. وبمجرد أن غادرتما مسرح الأحداث فى تلك  
الليلة استطاعت ( مارلين ) أن تأخذها وتصنع منها  
( جنبلة ) كاملة تشابهك .. وأرسلتها للفندق لاستدراج  
المرأة والطفل ..

أما الآن فلم تعد هى حاجة إليها ... ومن القسوة أن  
أدعك تموت بأنياب ذنب دون أن تراه .. ! ! .. هذا حقك  
الذى لن يحرمك منه أحد ! ..

www.liilās.com/vb3

RAYAHEEN

منتصف الليل ...

عواء الذئاب يتعالى ... ولم يعد هناك معنى لشيء ..  
لم يعد لقدمي وجود ولا ليدى ولا لبطني .. رأسى هو  
الشيء الوحيد انحر فى .. الضمأ يقتلنى .. المثلل .. الأثم ،  
وعلى بعد أمتار منى يقف رأس ( هارى ) ... ذقته متدل  
فلا تعرف إن كان ميتاً أم نائماً .. ذباب كبير الحجم يقف  
ويلهو عنى أنفه ووجهه .. الذباب يحاصرني فأحاول طرده  
بتقليص عضلات وجهى وتحريك لساني .. لكنه مصر ..  
فلينته كل هذا سريعاً .. لينته كل هذا ..

والآن حانت النهاية ... هاهو ذا ذئب ضخم أشعث  
يقرب منا فى تودة .. ظله الأسود الكبير فى ضوء القمر ..  
صوت زئير خافت منثر .. رائحة أنفاسه الكريهة .. عيناه  
التاريتان ... إنه يقرب منا ببطء .. ويدور حول رأسينا  
فى حذر محاولاً فهم ما هناك ... ثم إنه يقف مفكراً لدقائق  
بأى الرأسين يبدأ .. الأشقر أم الأصغر ؟ ..

بالطبع يفضل الرأس البعارى .. فى تودة يتقدم نحوى ..  
أرى تفاصيله عبر زجاج نظارتى التى تشوه الرؤى .. لست  
خائفاً .. لست غاضباً .. فقط لا أصدق ... إن هذه الأشياء  
تحدث للأخرين فقط ..



عواء الذئاب يتعالى ... ولم يعد هناك معنى لشيء .. لم يعد لقدمي  
وجود ولا ليدى ولا لبطني ..

(ماجى) كانت تحبني وكنت أحبها فلماذا لم  
نتزوج؟ .. إن (رضا) أخى على ما يرام بعد نداء  
التداهة .. وقد صار (عزت) جارى آكل البشر فنانا  
شهيرا.. لكنه لم يشف بعد .. والرعاة قتلوا (ايكاترينا) ..  
و ... (ماجى) .. هل ستعرفين يوما ما أن نذبا مزقنى  
فى مستعمرة جذام فى (جامايكا) ؟ .. ماذا ستقولين ؟  
وكيف ستبكين ؟ .. وكيف ستساعدين عن الشيء الذى  
رمى به فى هذا المأزق ؟ .. و (هويدا) أخت زوجة  
عادل .. ستنتظرنى .. ولن تصدق أتنى لن أعود ... و ...  
الذئب يصرخ من الألم .. !

مثل النبوءة يصرخ .. والآن أستطيع أن أراه يركض  
مبتعدا وهو يعوى فى حين يقف شاب أسمر ممسكا بشعلة  
نار .. ووراءه سيدة عجوز ..

إنه (جابريل) .. وأمه (مارشا) ..!.. لقد وصلا فى  
الوقت المناسب .. ! .. لكن كيف ؟ .. أين (جابريل)  
متعاوننا مع الفرنسي ؟ ..

- مساء الخير أيتها الأجنبية .. ألم أقل لك إن الذئب  
سيصرخ من الألم .. !! ..

بصعوبة نجحت فى إخراج صوت من حلقى :  
- إن وجهك يا سيدتى - فى هذه اللحظة - لهو أجمل  
وجه رأيته فى حياتى .. !

ضحكت ضحكة زنجية طويلة .. وقالت فى حياء  
مضحك :

- آها أيها الثعلب ! .. فليأخذك الشيطان على كلماتك  
الخبثية ..

قال (جابريل) فى شيء من الخجل :

- اغفر لى يا سيدى .. لقد غررت بكما لكنى لم أستطع  
أن أترككما تعوتان .. كان هذا أقوى منى ..  
قلت فى (إعياء) :

- ولكن حررانى أولا ثم نتبادل العتاب ... لو أن هؤلاء  
المجذومين رأونا ..

صاحت الأم (مارشا) فى عصبية :

- أنا لا أعيا بهؤلاء .. إنهم لن يعترضوا طريقى ..

وتناول (جابريل) رفشا ملقى جوار الحفرة وشرع  
يحررنى أنا و (هارى) فى حين أخذت أحاول معاونته عن  
طريق خلخلة طبقات التراب المحيطة بجسدى ... كانت  
المهمة شاقة لكنه أنجزها خلال عشر دقائق ..

ووقفنا - أنا و (هارى) - نترنح ونحاول التخلص من  
أطنان التراب التى تكسو ملابسنا .. فى حين فككت العجوز  
قبوننا بأداة حادة :

وهنا حدث ما كنت أخشاه ..

أريانا - بعيون مذعورة - عشرات من هؤلاء  
المخلوقات البشعة يقتربون منا في الظلام ومشاعلهم  
تترقق بضوء نارى رهيب ينعكس على وجوههم  
الغاضبة .. كانوا قادمين وقد فهموا ما هناك .. وبعد  
دقائق كانت هناك دائرة محكمة منهم تقف حولنا ..

لقد انتهى الأمر كله ..

وهنا تصلب جسد الأم ( مارشا ) .. وبقامتها القصيرة  
المنحنية تتقدم نحوهم وقد تشابكت يداها خلف ظهرها ..  
المشهد الذى ذكرنى بمشهد عودة ( نابليون ) إلى جيوشه  
بعد منفاه .. توقعت أنها ستصرخ بعد دقائق : أنا هو  
إمبراطوركم ! .. فاقتلونى .. ! .. لكنها فعلت شيئاً  
مشابهاً ..

فى ثبات وثقة تتقدم نحوهم .. وتقف فى ضوء  
المشاعل لتصرخ فيهم بلغة ما ، كلمات عدة ، لم أتبين  
منها سوى كلمتى ( مارشا ) ، ( فودو ) .. ثم :

- كوجار هاشتاك ناهيرا دوس ( زومبى ) .. !

واضح طبعاً أنها تقول لهم : أنتم لستم ( زومبى ) ..  
أو لقد أراد أن يقنعكم أنكم ( زومبى ) .. أو .. لقد انتهت  
قصة ( الزومبى ) .. أو أى عبارة أخرى تلائم الموقف  
وتنتهى بلفظة ( زومبى ) ! ..

والآن تأمل معى هذا المشهد الشبيه بالكابوس .. المرأة  
القصيرة تصرخ بصوت رفيع متهدج بينما عشرات  
المشاعل تحوطها .. والوجوه المتأكلة البشعة ترمقها  
بنظرات خرماء .. والظلال تتناثر هنا وهناك مضيئة على  
الموقف كله تأثيراً يكاد أن يكون سينمائياً ..

( جابرييل ) يقترب من أذنى ، ويهمس :

- إنها تقول لهم إنها هى الأم ( مارشا ) التى علمت  
( الفودو ) لكل الجزيرة .. وتقول إنهم ليسوا من  
( الزومبى ) لأنها تعرف ذلك .. لقد سحركم ذلك الأجنبى  
بعقاقيرده وتم يعالجكم .. جعل منكم منبوذين .. جعلكم خدماً  
له تمثّلون لأوامره ..

- كارشاك هامور شاتهاه أى ناج .. !

يقول ( جابرييل ) :

- تقول إنكم تستطيعون أن تمزقونا .. لكننا نملك  
خلاصكم ..

- سى هاه شيس داكورك دى فرانتشا .. شيهاج ..  
ناشاه ! ..

- .. وتقول لهم إنهم إذا أرادوا أن يكونوا رجالاً فعليهم  
أن يثوروا ..

- ناشاه !!

هكذا صرخ الجمع مردداً آخر لفظة فى حماس وغليان  
مستمر متعالى النغمة .

ذلك الأسلوب الذي يسميه الموسيقيون ( كريشنو ) ..  
الإيقاع يتسارع ..

- ناشاه !!.. ناشاه !! ناشاه !!

الأم (مارشا) تخرج شيئاً من جيبها .. وتتعمم بكلمات ما  
فتشيب النار في ذلك الشيء ويستحيل رماداً ... ثم تنفخ  
الرماد على وجوه المحيطين بها ... لاهد أنه نوع ما من  
التعويذات غرضه تحريرهم من أثر المخدرات ..

- ( ناشاه !!.. ناشاه !! ).. ( كوديكاً !!.. كوديكاً )..

مال ( جابرييل ) نحو أذنى ليفسر لى ..

- إتهم يقولون ..

( رفعت كفى ) بمعنى ألا داعي هناك لذلك .. وقلت :

- نعم .. نعم .. يقولون : الثورة .. الثورة ! .. ثم :

إلى الشيطان ! .. إلى الشيطان ! ..

لقد تحسنت حصيتي من لغتك هذه يا بنى .. ! .. لقد

سمعت لفظة ( كوديكاً ) مراراً في تلك الليلة المشنومة ..

الثورة تزداد صخباً .. والدائرة تلتفت من حولنا وتكون

صفاً طويلاً مسعوراً يتقدم نحو الفيلا .. والغضب في كل

العيون الملتهية .. لقد سحرتهم هذه المرأة بتعويذتها أو

بمنطقها .. المهم أن النتيجة واحدة ..

( هارى ) يركض نحوها صارخاً :

- وزوجتى .. وابنى .. ؟ .. إتهم سيسحقونهما  
بالأقدام !..

التفتت نحوه مبتسمة فى ثقة .. ثم أشارت للجمع  
الغاضب وصرخت :

- بى هاه ! .. بى هاه دوس دونيا إى بامبا !!

قلت لـ ( هارى ) ميتسماً :

- إن لغتهم تحمل روائح اللغة الأسبانية .. من الواضح

أن ( دونيا ) تعنى ( المرأة ) و ( بامبا )

تعنى ( الصغير ) .. أليس كذلك ؟

قال فى غيظ وقد احمر وجهه تفعلاً :

- ارحمنى من دراساتك اللغوية .. ! .. إن الموقف

لا يناسب ذلك ... ..

المشاعر تتطاير نحو الفيلا الشبيهة بالقلعة .. النار

تلتهب وتتأجج .. الدخان يتعالى .. الصراخ .. لفظة

( كوديكاً ) تتكرر مراراً .. إن النبوءة تكتمل : ستحترق

القلعة ... دـ ( دالعار ) يبرز من إحدى الشرفات ويحاول

أن يقول شيئاً ، لكنه يفاجأ بالمجدومين يتسلقون النباتات

محاولين الوصول إليه .. من ثم بهرع للداخل ... صوت

صراخ .. اللهيب يتعالى ..

إن غضب الجموع لهو إحصار لا يمكن الوقوف أمامه ..



( جابريل ) يقترب منى وسط الصخب ، ويهمس :  
 - سامحنى .. كنت أعمل معه مجرد ناقل للأخبار .. ،  
 ولهذا عرف أنكما صورتما ( الزومبى ) فى المقهى  
 وصورتما التحفل .. ، ولم أعرف أبداً أنه خطف المرأة  
 والطفل .. حتى عندما نسيت لكما ورقة طلب القدية لم  
 أعرف محتواها .. فأنا لا أعرف الإنجليزية ..  
 - ولماذا لم تشرح لنا كل شيء .. ؟  
 - حاولت إنذاركما مراراً .. ولهذا أتيت بك إلى أمى كى  
 تتفعلكما بالرحيل .. ، وحين أدرت أنكما وقعتما فى الشرك  
 ذهبت لأمى وأحضرتها هاهنا لأنها الوحيدة القادرة على  
 إنقاذكما ..  
 - لقد جئتما فى الوقت المناسب .. لكنى لا أفهم .. ،  
 ما جدوى هذه التمثيلية ؟  
 ولماذا يرغب أى شخص فى امتلاك جيش من  
 ( الزومبى ) .. ؟  
 نظر فى شرود للمشهد المروع أمامه .. وقال فى  
 بساطة :  
 - البوكسيت .. !  
 - بوكسيت ؟ ..  
 - نعم هو السبب .. إن ( جامايكا ) تنتج البوكسيت .. ،  
 حوالى ٣ مليون طن سنوياً .. وقد أممته فى عام ١٩٥٢

وألفت الاحتكارات الأجنبية (\*) ، لكن د. ( دالمار ) وجد  
 مكاناً غنياً به . لهذا جئد مرضاه - عن طريق المخدرات -  
 ليكونوا عمالة غير مكلفة تستخرج له ولشركة فرنسية ذلك  
 الخام .. ، ثم يقوم بتفريجه بحرًا ..  
 كان فى حاجة لإثارة أكبر قدر من النفور والرعب حتى  
 يمنع الآخرين من اكتشاف مشاريعه .. ، ثم إنه بهذه الخطة  
 استطاع الحصول على ستمائة عامل مجانى فى الوقت الذى  
 تفكر فيه للأيدى العاملة ويفرّ مواطنونا مهاجرين إلى  
 إنجلترا ..  
 - يا للهول .. ! .. طبيب يجعل مرضاه يعملون  
 بالسخرة !؟ ..  
 هذا هو الواقع للأسف ..  
 - على كل حال لقد انتهت هذه العاساة ولن يكون هناك  
 آخرون ..  
 - لقد قلت مقطعاً آخر من نبوءة أمى .. ١١  
 إن العاساة تنتهى .. ، النار تلتهم كل شيء .. ، خيالان  
 مألوفان يخرجان من الدخان نحونا .. ( هارى ) يندفع نحو  
 الخيالين ويعانقهما فى لهم كأنه يبغى سجنهما فى ضلوعه  
 للأبد .. ، ( لندا ) وجيمى اللذان كانا منهكين لكنهما حيان ..  
 (\*) حقيقة .

و دـ (دالمار) و (مارلين) يموتان الآن ميتة الكلاب التي  
ظننا أنها من نصيبنا .. والمرضى يصرخون .. و (هارى)  
وأسرته يتعانقون دامعى الأعين .. (كوديكا) .. (كوديكا) ..  
شجرة أخرى تتهاوى محتركة ..  
ولن يكون هناك آخرون ...

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN

الأم (مارشا) تقترب منى .. فأهرع إليها وأمسك  
بمخالبها فى حب حقيقى :  
- أيتها السيدة الحساء .. لن تتصورى أبداً .. لن ..  
أنت رائعة .. !

- ( رفعت ) .. أنت تحبنى .. أليس كذلك ؟  
قالتها فى رقة مرعبة وهى تنظر فى عيني .. وابتسامة  
مربعة على فمها الخالى من الأسنان .. !، باللهول ! .. لقد  
بالغت فى إظهار إعجابى بهذه الساحرة الشمطاء حتى  
ظننت ..، والآن كيف أقول لها مايجول فى خاطرى دون أن  
تمسختنى إلى خنزير .. ؟ ! .. ( جابرييل ) .. ! .. أنقذتنى  
من هذه العجوز المفزعة ! ..

قالت فى حنان وهى تمسك ذقتى بمخالبها ورائحة  
عطرها تخنقتنى :

- أنا أفهم أنك تحبنى بجلون لكن .. حاول أن تتلصق  
على آلامك ..، فأنت لا تتاسبىنى .. أنت ضعيف ومتراخ  
وأصلع ..، حاول أن تتعود على فكرة أنى لست لك ..  
ولا تبك يا صغبرى ! .. لا تبك ! .. !

الحمد لله ! .. إنها نموع الفرح ! .. إن رأيتها فى لهو  
وسام دائم على صدرى .. وإننى لأرتجف من فكرة أن أكون  
قد رقت لها ..

لم تزل تنظر لى فى إشفاقى .. والنار تنتهب ..

قال ( هارى ) وهو يحتضن طفله ، فيما ( لندا ) تحزم حقائبنا :

- ربما كانت مصادفة أو سلسلة إحصاءات تغذناها نحن دون وعى ، لكن نبوءة ( التاروت ) صدقت حرفياً .. الذئب .. الغبار الأحمر .. القلعة .. لن يكون هناك آخرون .. قلت فى إصرار :

- كذب المنجمون ولو صدقوا ..

أخذ يضحك وهو يغمز ( لندا ) وقد أخذ ( جيمى ) يعبث فى الحقائب :

- كلما تصورت أنك فتى أحلام هذه الساحرة العجوز .. ! ، وكنت مستعود بها لمصر لتطمئن أنك وجدت فتاة أحلامك أخيراً .. !

- ولم لا .. ؟ .. ربما كان من المفيد أن تقتنى ساحرة ( فودو ) فى دارك .. فهى امرأة باسلة تعرف كل شيء .. ولولاها ما كنا هنا ..

- لكنك لست فى حل من أن تثير غضبها يا صغيرى .. على كل حال لقد حرمت على زيارة ( جامايكا ) بعد اليوم ضمن بلدان الله التى لن أزورها أبداً .. ( إنجلترا ) .. ( أستراليا ) .. ( رومانيا ) .. ( جامايكا ) .. وحتى قريتى .. ! - أعتقد أن ..

وهنا دوت صرخة مريضة طويلة .. كانت ( لندا ) تتلوى على الأرض وتولول وعلى وجهها أعنى علامات الألم .. - نراعى .. ا .. لا ..

نظر إلى ( هارى ) فى تساؤل وهلع .. لكن لم يكن لدى تفسير لهذا الذى يحدث .. إنها ليست ألاماً رومانسية ولا ناتجة عن نقص سريان الدم ولا ... لحظة ! .. لقد فهمت .. ! .. أين ( جيمى ) الصغير ؟ .. أعتقد أننى أعرف ما هناك ..

وجوار الفراش كان جالساً على الأرض يحاول فى انهماك التزاع نزاع الدمية .. ! الفتيش الخاص بـ ( لندا ) الذى أعطتني إياه الأم ( مارشا ) وكنا قد نسيناه عندها !! .. ، وبسرعة انتزعت منه الدمية فكفت ( لندا ) عن الصراخ !! ووقفنا نتبادل نظرات مذهولة ..

كم من أسرار يحويها هذا العالم العجيب الذى نهله ، لكن ما نعرفه الآن هو أن هذه الدمية ستظل حبيسة خزينة محكمة ما ظلت ( لندا ) حية ..

هناك أسرار كثيرة لكن الوقت قد حان كى نترك هذا البلد .. سأعود إلى ( مصر ) وإلى أصدقائى والجامعة وأنزوج ( هويدا ) .. وكالعادة لم أكن أعرف أن كابوسنا من نوع آخر ينتظرنى فى مكان آخر .. كابوسنا يفوق كل ما رأيت وكل ما عرفت ... ولكن هذه قصة أخرى ..

د. رفعت إسماعيل

القاهرة فى مايو ١٩٩٢